

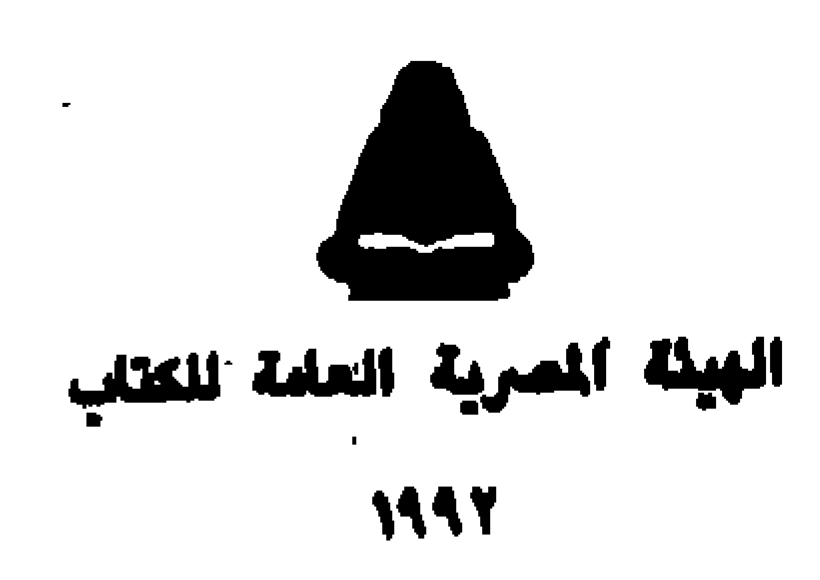
هنرى الرابع

تاليف : لويجى بيراندللو
ترجمة : فاروق عبد الوهاب

هنرى الرابع

تأليف : لويجى بيراندللو

ترجمة : فاروق عبد الوهاب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الاخراج الفنى : عمر حماد على

عندما يحيا انسان ما ، فهو يحيا ولا يرى نفسه .. ضع أمامه مرآة واجعله يرى نفسه فى خلال عملية الحياة تجده ، إما ان يدهش من مظهره المرسوم قبالته ، أو يشيح بعينه بعيدا حتى لا يرى نفسه ، أو يبصق على صورته بدافع من الاشمئزاز ، أو يحكم قبضته ليحطمها ... وخلاصة الامر ، ينشأ نوع من الازمة ، وتلك الازمة هى مسرحى

لويجى بيرانديللو

لويجى بيراندللو وهنرى الرابع

يقوم فن لويجى بيرانديللو[1] (١٨٦٧ - ١٩٣٦) المسرحى على الفصل بين الانسان كما هو فى الحقيقة ، فى نظر نفسه ، وبين ما يظنه الآخرون عنه .. ومواجهة هاتين الصورتين ، واكثر ، ببعضهما . ويتردد فى مسرحه دائما سؤال محير يتخذ آنا شكلا ساخرا ، وآنا آخر شكلا ماسويا وهو : ماهى الحقيقة ؟ ومهما كانت الاجابة (رغم انها فى

(١) راجع الدراسة الخاصة عن بيرانديللو فى العدد الخامس من مجلة « المسرح » .

معظم الاحيان أن لا وجود لما يسمى بالحقيقة المطلقة أو حتى بالحقيقة الواحدة) مهما كانت هذه الاجابة ، ومهما كان الشكل الذى تتخذه كوميديا فى الظاهر ، فهى تؤدى فى أغلب الاحيان إلى إحساس مأسوى ساخر لمن يتلقى اعمال بيرانديللو ، فهى هدم أو على الاقل زعزعة لكل ما شيدته الفلسفة والتفكير الانسانى من مثل ومبادىء وضعية ، وما استقر عليه العرف من « اجابات جاهزة » لكل الاسئلة التى تثار حول الوجود الإنسانى وحول علاقات الافراد ببعضهم البعض .

وليس من المستغرب ان يكون صاحب هذا الاتجاه إيطالياً فإن المزاج الايطالى الذى اخرج للعالم « كوميديا الفن » .

وفن الأوبرا الذى لا يعتمد مطلقا على أى « وهم للحقيقة » ، كان دائما ضد الواقعية فى الدراما .. ولذلك لم تحقق محاولات بعض الكتاب الايطاليين لتقليد ابسن ومسرحياته المحكمة الصنع نجاحا يذكر ، لأنها كانت تحاول تجسيد أشياء لا تنفسح لها طبيعة الشعب الايطالى ولا خياله .. وقد اتخذت معارضة الواقعية فى المسرح أشكالا كثيرة فى ايطاليا منها رجوع إلى الرومانسية الشعرية فى المسرح ومنها حركات اخرى أكثر جدة وابتكارا .. ففى ١٩٠٩ ولدت الحركة « المستقبلية » ، وفى ١٩١٥ اعلن كاتب يدعى فيليبو توماسو مارينيتى ، بداية ما اسماه بالدراما « التركيبية » ، ولكن هذه الحركات ، لأنها لم تنشأ من تربة ايطالية اساسا ، لم يقدر لها البقاء كحركات متكاملة .. ثم كان عام ١٩١٦ حين كتب لويجى كياريللى مسرحية « القناع والوجه » La Maschera e il Volto وأعلن بذلك المولد الرسمى لتلك الحركة المسرحية الشعبية المعروفة « بمسرح

السخرية الهزلية « Teatro del Grottesco والتى بدأت فى مطلع هذا القرن فى صقلية ، مسقط رأس بيرانديللو ، رغم أن لها جذورا فى الروح الايطالية عموما وترجع إلى كوميديا الفن بصفة خاصة ، وهى تعتمد على تصوير كاريكاتورى ساخر لمساخر الانسان ومعايبه .

والشخصية الرئيسية فى هذه المسرحية هى باولو ، وهو رجل يدعى التمسك بتقاليد وقواعد الشرف القديمة .. ويواجهه الكاتب بموقف عملى حقيقى ، بأن يجعله يعتقد أن زوجته ليست على القدر الذى يتصوره من الاخلاص بل وانها تخونه أحيانا ، الا أن المشكلة هى انه رغم ما يدعيه من تمسك بقواعد الشرف يحب زوجته **سافينا** ، أو على الأقل يعتمد عليها اعتمادا عاطفيا كبيرا ، بل وان مسألة الشرف هذه ليست سوى رداء « فضفاض » يخفى ضعفه وراءه .. ولما كان **باولو** لا يريد أن يقتل زوجته ، وهو فى نفس الوقت يخشى أن تكشف سخرية الناس منه هذا الرداء الفضفاض ، فإنه يرسل **سافينا** فى سفر بعيد ويقول بأنه قد قتلها وألقى بجثتها فى إحدى البحيرات ، ويقبض على **باولو** ويثير بقضيته كلام الناس .. وهو يعلم ــ طبعا ــ رغم أنه لا يعترف بهذا ، أن **سافينا** حية ترزق وان باستطاعتها أن تظهر فى آخر دقيقة وتنقذ حياته ، ولكنه يتمسك بالموقف البطولى الذى أثاره ، وبالصورة الشجاعة التى رسمها لنفسه وهى صورة الزوج « الحمش » الذى قتل زوجته دفاعا عن شرفه . وتبرأ ساحته وسط تصفيق الجماهير وإعجابهم الشديد بذلك الشخص الذى اثبت لهم عمليا أن « الدنيا لسه بخير » وأن العالم مازال فيه شخص واحد على الأقل ــ إلى جانب أنفسهم طبعا ــ يتمسك بالشرف بل ويضحى بحياته فى سبيل ذلك ــ إن تيسر ..

وعندما يعود إلى بلدته تستقبله فرقة البلدة الموسيقية ويحييه عمدة المدينة لأنه « بيض وجوه » أهلها ، إلى ذلك مما يحدث عادة فى تلك المناسبات .. كما يؤثر موقفه هذا فى حياة أحد أصدقائه العائلية ، وهو شخص كان من الواقعية بحيث كان يغمض الطرف أحيانا كثيرة عن غراميات زوجته ، ولكنه الآن يكتسى موقفا

حازما ويصبح سيدا مطاعا فى بيته .. وترسل السيدات باقات الزهور وعروض الزواج لباولو .. وحتى هذا الحد والموقف سليم وجميل ومريح جدا لبطلنا ولكن مشكلة طفيفة تنشأ ، فقد عثر بعض الاهالى على دثار الزوجة المقتولة — الحية طافيا فى البحيرة ، فيقرر الاهالى أن يقيموا جنازا مناسبا للمرحومة ويعارض الزوج فى ذلك معارضة شديدة .. الا أنه لا مجتمع بلا طقوس ، فليقم الجناز اذن ! وتسمع الزوجة بهذه الاخبار وتعجبها فكرة تشييع جنازة نفسها فتظهر ولكن الزوج يتدارك الموقف فى الوقت المناسب ويحبسها فى غرفته ، ثم يكتشف أنه لا يستطيع أن يستغنى عن زوجته وحبيبته سافينا ، فيتخذها زوجة مرة أخرى ، وليقل الناس ما شاءوا ..

ويرى الناقد المسرحى المعاصر . ريموند وليمز فى كتابه « المسرحية من ابسن إلى اليوت »[1] أن عنوان المسرحية ، « القناع والوجه » قد أصبح « شعارا » للحركة العامة التى جاءت فى أعقابها . فقد اتجهت نية كياريللى إلى « فضح » المسرحية الرومانسية ، ونزع القناع عن اخلاقياتها الوضيعة ، والكشف عن الشكل الفعلى للحياة التى كانت تخفيها تحت جوانحها . غير أن هذا الانعطاف لم يكن شبيها بانعطاف الواقعيين الفرنسيين الذين قاموا عن عمد بعرض مادة غير رومانسية . فقد احتفظ كياريللى إلى حد بعيد بالتعقيد الكامن فى الحدث التآمرى ، وبطبيعة المواقف الدرامية .

ولكن الحل الذى قدمته المسرحية اتسم بطابع ممسوخ ، الامر الذى الحق الهزيمة بالاخلاقيات الرومانسية . ولهذين السببين معا ـ الابقاء على الحدث التآمرى المعقد ، والحل الممسوخ ـ عرف الاسلوب الجديد باسم « المسرح الساخر » .. كذلك فقد عاد أدراجه ، فيما يتعلق بطبيعة حدثه ، إلى التراث الايطالى الاصيل الخاص « بملهاة الفن » ... واستقى الحل الذى يقدمه من التجديدات التجريبية المرسومة ، والسخرية من الأطر الوضعية ، تلك التى استحدثتها الحركة المستقبلية .. فى الفن .

---

(١) Drama from Apsen to Eliot

وقد ترجمه الدكتورفايز اسكندر حديثا بالعنوان المشار اليه بأعلى .

فمسرحية كياريللى هى محاكاة هازئة ، وكاريكاتير ممسوخ للمسرحية الرمانسية . وشخصياتها دمى تتم معالجتها فى اطار التعقيد الوضعى ، ثم يرخى لها العنان لتنطلق فى عنف صوب حل هازىء ، لا رومانسى . وطبيعة الدمى هذه الخاصة بالشخصيات ، التى تستمد ملامحها من « البلشينلا » و « الآرلوتشينو » المتمثلتين فى « ملهاة الفن » ، هى عنصر جوهرى من عناصر الاسلوب الدرامى الذى يستنه بيرانديللو [1] .

وفى هذا الجو المسرحى الملىء بالامكانات ، بدأ **بيرانديللو** كتاباته للمسرح ، رغم أنه عرف قبل ذلك كاتبا قصصيا ذا شهرة كبيرة . ولكنه منذ كتب أولى مسرحياته الطويلة « **اذا لم يكن الامر كذلك** » فى ١٩١٥ ، اتجه بكل كيانه وقدراته للمسرح ، حتى أصبح يعد من أشهر كتاب المسرح فى العالم كله .. ورغم ما يبدو من أنه يكرر نفسه فى معظم مسرحياته ، وذلك لأنه جعل جلها يدور حول نفس الفكرة الا اننا لا نملك سوى أن نعترف بجدته فى كل مرة ، لأن تلك المسرحيات التى تتشابه فكرتها لا تنتج عن مجرد كسل عن التجديد ، وانما عن فلسفة تنتظم أعماله كلها ، كما لا يسعنا الا ان نعجب بمهارته فى ايجاد نواح جديدة فى كل مسرحية يطلع بها على العالم .

وبيرانديللو كاتب واقعى ولكن واقعيته من نوع جديد .. فهى واقعية تتحدى الواقع والحقيقة ، وهى تختلف عن واقعية ابسن فى ناحية اساسية وهى أنه بينما الشخصية عند ابسن ـ مهما كانت درجة تعقيدها ـ شخصية واحدة ، فإنها عند بيرانديللو تتفتت إلى جزئيات صغيرة ربما لا يجمعها سوى هيكل الشخص الآدمى نفسه ، وهو يقول على لسان الاب فى « **ست شخصيات تبحث عن مؤلف** » مثلا : « **ان مأساتى هى فى الاحساس بأننى ، وبأن كلا منا يرى ويظن نفسه واحدا فقط ، مع ما فى ذلك من خطأ .. فإن لكل منا شخصيات متعددة .. متعددة جدا .. بقدر امكانيات الوجود التى تكمن فى داخلنا .. ونحن أنفسنا لا نعرف سوى جزء صغير من انفسنا ، ومن الجائز جدا ان يكون هذا الجزء هو أكثر اجزاء انفسنا تفاهة** » .

---

(١) المرجع السابق .

ونلحظ هنا أن فكرة القناع والوجه قسيطر تماما على تفكيره ، وتتطور حتى تتخذ أبعادا أكثر عمقا واشكالا متنوعة ، منها مثلا ذلك القناع الداخلى الذى لا يراه سوى الشخص الذى يضعه ، كما أن هناك أيضا القناع أو الاقنعة التى يعرفه الناس بها ، وفى بعض الاحيان يكون ذلك القناع أو تلك الاقنعة من خلقه هو ، وفى معظم الاحيان يفرض المجتمع عليه الاقنعة التى تعجبه ، وربما حاول الشخص جاهدا ان ينفض عن نفسه أقنعة المجتمع ولكن لا أحد يـريد ذلـك ويتساءل **بيرانديللو دائما**:أين نجد الحقيقة الموضوعية فى ذلك التيه ؟ وإذا كان كل شىء نسبيا ـ لا فيما يتعلق بالفرد فحسب بل بالنسبة للجوانب المختلفة من كل فرد واحد ــ فكيف يتصرف فرد حيال هذا الخضم الزاخر بالاقنعة الزائفة ؟

وتتضح فكرة القناع فى معظم مسرحيات **بيرانديللو** الاخيـرة ففى « **كل شىء على ما يرام** » (١٩٢٠) يركز **بيرانديللو** عـلى المواجهـة بين الصـورة (صورة الشخص لدى نفسه ، وصورته عند الآخرين ، وصورته النهائية عندما تتكشف الامور فى نهاية المسرحية) والواقع . وتدور المسـرحية حـول علاقـة شخص يدعى **مارتينو لورى** بمن يعتقد أنها ابنته بالما ويعاملهـا على هـذا الاساس ، **والسيناتـور مانفـرونى** ، الاب الفعلى **لبـالما** .. وأول مستـويات الحقيقة فى المسرحية هى أن **بالما** ــ فى الحقيقة ــ ابنة **السيناتور مانفرونى** ، الذى ينفق عليها ويتولاها برعايته ولا يرى الجميع فى ذلك غضاضة ، والمستوى الثانى هو اعتقاد الناس أن **مارتينو لورى** ، الوالد الرسمى **لبالما** ، يعرف رأى الناس فى بنوة **بالما لمانفرونى** وانه يتظاهر بالوفاء لذكرى زوجته الميتة وعلى هذا الاساس يعامله الجميع باحتقار وتقابل **بالما** مظاهر حبه لها بضيق ظاهر ـ فهى ايضا تعتقد أنه يعلم أنه ليس أباها وهناك على المستوى الثالث اعتقاد **لورى** نفسه ، وهو اعتقاد يشعر به بكل قلبه وكيانه . ان زوجته الميتة كانت أطهر من قديسة ولذلك فحبه **لبالما** هو سعادته الوحيدة فى الحياة .. وعندما يعلم فجأة بكل ما كان الجميع يظنون عنه ، تنهار الدنيا من حوله وتملأ رأسه فكرة الانتقام ، وهو يملك هذا الانتقام بأن يفضح سرقات **مانفرونى** العلمية من والد زوجتـه الميتة وبذلك يمزق أقنعة السيناتور الغشاش ، ولكنه يرفض فكرة الانتقام ـ وفى النهاية يعـود الوضـع كما كـان عليه ولكن مـع اختلاف كبـير ، ففيما يتعلق بالمجتمع ، يظل **لورى** عند ادعائه القديم ، ولكنه اصبح يفعل ذلك عن رضى ،

وبوعى كامل بما يفعله ، بينما يستعيد حب ابنته المفقود ، لأنها حين تدرك انه لم يكن يتظاهر بذلك الحب بل كان يحسه حقيقة ، تحس بالاعجاب الشديد بذلك الرجل الذى تعذب كثيرا وأخطأ الناس فى حقه أكثر ، فبينما يظل الظاهر كما هو ، يكون الباطن قد أعيد تشكيله على نحو يرضى الجميع .. والقناع فى هذه المسرحية ليس داخليا ، بمعنى أن الناس والمجتمع الصغير الذى تدور فيه الاحداث هو الذى يفترض ـ دون علم صاحب القناع ـ وجود القناع .. أى أن المجتمع فى المسرحية يرى قناعا فيما هو حقيقى .

ونحن نصادف موقفا مشابها فى « **انت على حق ، ما دمت ترى ذلك** » ، **وفيها يسخر بيرانديللو** على لسان لوديزى ، الذى يؤدى دور الكورس العارف بحقيقة الموقف ـ يسخر من محاولة أهل بلده معرفة حقيقة علاقة إحدى الزوجات بزوجها وحماته ، فلكل من الزوج والحماة وجهة نظر سليمة مقنعة منطقية . ويحار ثرثارو البلدة فى معرفة الحقيقة وتسدل الستار فى كل فصل على **لوديزى** وهو يسخر منهم ، حتى يجىء الفصل الاخير بعد أن تصبح هذه الحكاية شغل البلدة الشاغل ، وبعد أن يتحرق الجمهور شوقا « لمعرفة الحقيقة » فإذا بالزوجة تلقى بجواب لا يشفى غليل أحد ولا يوضح غموض الموقف فهى تقول :

مسز بونزا : كلا . فيما يخصنى ، أنا من تعتقدونها (تنظر مليا فى وجوه الجميع من خلال نقابها ثم تخرج . صمت مطبق)

لوديزى : وهذا ، سيداتى وسادتى ، صوت الحقيقة
(يلقى بنظرة ساخرة مليئة بالتحدى إلى الموجودين)
هل أنتم سعداء الآن ؟
(ينفجر فى الضحك)
ها .. ها .. ها .. ها ..

وفى هذا يسخر بيرانديللو أيضا من النظارة الذين لا يقلون تشوقا لمعرفة الحقيقة ، وهو يسخر من فضول أهل البلدة وكأنى به يقول لهم : « مادمنا نرضى بحالنا ، فمالكم ومالنا » .. وفى هذا يقول لوديزى : « **لقد خلقا لبعضهما البعض عالما فانتازيا له كل مقومات الحقيقة .. عالم يعيشان فيه الآن فى**

سلام وانسجام تامين .. ولا يمكن تحطيم هذا العالم ، حقيقتهما تلك ، بأى من وثائقكم لأنهما يعيشان فى ذلك العالم ، ويتنفسان فيه .. » .

وقد وجد هذا العالم الفانتازى تجسيدا حيا مقنعا فى بلاط « **هنرى الرابع** » الذى يعيش فيه ويصر عليه بطلنا رغم أنه شفى من جنونه وهو عالم فانتازى اختيارى رغم انه فى بداية الامركان نتيجة للجنون ، الا أن هنرى الرابع ، بعد شفائه قد أصر ولمدة ثمانى سنوات كاملة ، على أن يعيش فى ذلك الوهم ويرفض العالم الخارجى ومن ثم يكون هروبه إيجابيا لا مجرد كسل عن المشاركة فى الحياة العادية بل هروب واع من مجتمع لم يستطع أن يتعايش معه ..

و « **هنرى الرابع** » ، فى نظرى ، تتويج لأسلوب **بيرانديللو** الذى يعتمد على المواجهة بين الوهم والحقيقة لأن بيرانديللو قد وجد المعادل الموضوعى الكامل لذلك العالم الفانتازى ، فهذا العالم مثلا يختلف عن العالم الذى تعيش فيه شخصيات « **انت على حق ، ما دمت ترى ذلك** » ، و « **كل شىء على ما يرام** » ، و « **ست شخصيات تبحث عن مؤلف** » ، فى أنه عالم مادى محسوس محدد الجنبات ، الا أنه يشترك مع تلك العوالم فى سمات معينة تجعلنا نميل إلى القول بأنه خطوة أبعد فى نفس الطريق الذى تسير فيه المسرحيات المذكورة وغيرها من مسرحيات بيرانديللو الأخرى التى تشترك فى نفس الفكرة .

كما تشترك **هنرى الرابع** مع باقى تلك المسرحيات فى أن **بيرانديللو** يزعزع الأفكار السائدة الثابتة عن الجنون ، فبالرغم من اجماع الآراء على أن **هنرى** مجنون ، وبالرغم من أنه هو نفسه يقنعنا بذلك خلال الفصل الاول ومعظم اجزاء الفصل الثانى ، الا انه ، حين يكشف الحقيقة ، يقنعنا بوجهة نظره ، ويكون تعاطفنا معه وليس مع العالم « العاقل » ، وفى هذا لا تختلف الفكرة أو الأثر الذى تحدثه المسرحية عن « **أنت على حق** » ، فالزوج والحماة والزوجة ، فى رأى الناس ، مجانين ، الا انهم كما اسلفت يقنعوننا بوجهة نظرهم وخاصة حين تقول الزوجة التى هى أساس المشكلة : « **هنا ، كما ترون ، مصيبة يجب أن تظل خفية ، وإلا فإن العلاج الذى توصلت إليه عواطفنا ، لن يؤدى إلى شىء** » .

ولكن المجتمع لا يترك **هنرى الرابع** وشأنه ، بل يقتحم عليه عالمه

الفانتازى ، الذى يعيش فيه دون أن يؤذى أحدا ، ويؤدى هذا الاقتحام ... هذه المواجهة القاسية بين العالمين إلى مأساة حقيقية ، أجبرت هنرى الرابع على أن يستمر فى تلك الحياة الخيالية وعندما رأى هنرى الرابع صورته المنعكسة فى المرآة التى يمسك بها العالم الخارجى ، « أحكم قبضته ليحطمها » ..

والموقف الاخير فى « هنرى الرابع » ، إلى جانب أنه ذروة المسرحية المأسوى ، ينجح فى ربط العالمين : الفانتازى والواقعى مثلما ينجح المشهد الختامى فى « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » فى الربط بين الشخصيات والممثلين ... بين عالم الفن وعالم الحياة . والمناقشة حول ما إذا كان الولد الصغير قد مات حقيقة أم أن الأمر لابد أن يكون تمثيلا ، تذكرنا على الفور بالمناقشة حول جنون هنرى الرابع ، ويعمق الشبه بين المسرحيتين أن كل الحدث فى هنرى الرابع يعتمد على الإيحاء بأننا فى مسرح داخلى يلعب فيه هنرى الرابع دورا من ناحية وتلعب باقى الشخصيات ادوارا اخرى وكل جانب يعتقد أن حيله قد انطلت على الجانب الآخر ، حتى تتم المواجهة بدون اقنعة فى الفصل الثالث ، وتصل المواجهة إلى التحام شديد مأسوى فى الخاتمة ، لأن جريمة قتل بلكريدى تجعل المستويين يتداخلان بصورة يصعب معها الفصل بينهما بعد ذلك .

والعنصر المأسوى فى المسرحية ، كما سوف نتبين ، هو عكس التغيير الذى يحدث فى « كل شىء على ما يرام » ، فبينما يقبل لورى ان يستمر فى اداء نفس دوره ، عن رضى ، يصبح هنرى الرابع مجبرا على الاستمرار فى حياة الوهم تلك ، وبذلك ينقلب الخيال الجميل والجو الفانتازى الإرادى ، إلى سجن بعد أن كان جنة من صنع صاحبها .

فاروق عبد الوهاب

شخصيات المسرحية

... (هنرى الرابع)
الماركيزة ماتيلدا سبينا
فريدا ، ابنتها
الماركيز شارل دى نوللى
البارون تيتو بلكريدى
الدكتور دينوزيو جينونى
المستشارون الخصوصيون المزيفون
الأول : لاندولف (لولو)
الثانى : هارولد (فرانكو)
الثالث : أوردولف (مومو)
الرابع : برتولد (فينو)
اثنان من الأتباع يرتديان زى البلاط
جون : خادم مسن
. تقع احداث المسرحية فى فيلا منعزلة فى ريف امبريا .
الزمن : الوقت الحالى (١٩٢١) .

الفصل الأول

هنرى الرابع

(قاعة فسيحة فى الفيلاً ، روعى فى اثاثها وديكوراتها أن تكـون اشبـه بغـرفـة عـرش هنـرى الـرابـع ، فى قصـره الامبـراطورى فى جـوسلار ، غـير أنه فى وسط هـذا الأثاث الكـلاسيكى العتيق ، صورتـان بالالـوان الزيتيـة بالحجم الطبيعى ، بـارزتان من الحـائط الخلفى ، اعلى بقليـل من المسرح ، مثبتتان فى مكانيهما بحافة خشبية مزخرفة اسفلهما تحيط بكل الجدار .. الحافة الخشبيـة بارزة إلى حـد يمكن استخدامها معه كمقعد ، الصورتان على يمين ويسار كرسى العـرش الموضـوع فى منتصف الحـائط الخلفى ، والـذى تتقاطع معه الحافة الخشبية ... كرسى العرش تظلله مظلة (تندة) منخفضة ... الصورتان تمثلان شابة وشابا يرتديان ثيابا كرنفالية .. الشابة هى الماركيزة ماتيلدا دى كوسكانى والشاب هو هنرى الرابع . هناك ابواب الى اليمين واليسار .

(عندما ترتفع الستار يقفز التابعان بسرعة من الحـافة الخشبية التى كانا ينامان عليها ، كمـا لو كـانا قـد ضبطا متلبسين ، ثم يقفان بأسلحتهما مثـل التماثيـل عند اسفـل الدرج الذى يؤدى الى العرش .. أحدهما الى اليسار والآخر إلى اليمين ... بعد فتـرة قصيرة ومن خـلال الباب الايسر ، يدخل هارولد ، لاندولف ، أوردولف ، وبرتولد ، وهم شبان

الحقهم الماركيز شارل دينولي بالخدمة لأداء ادوار « المستشارين الخصوصيين » وهم اتباع ملكيون من صغار الأرستقراطيين فى بلاط هنرى الرابع ، ولذلك فهم يرتدون زى فرسان القرن الحادى عشر الالمان ، برتولد ، واسمه الحقيقى ، فينو ، التحق بالعمل لتوه وزملاؤه الثلاثة يعلمونه ماذا عليه ان يفعل ، ويبدو انهم يجدون متعة كبيرة فى ذلك .. يجب أن يؤدى الممثلون ادوارهم بسرعة وحيوية حتى يجيء الاداء شبه فانتازى)

لاندولف : (لبروتولد : كما لو كان ذلك اثناء شرحه له) وها هى غرفة العرش !

هارولد : فى جوسلار !

أوردولف : أو اذا رغبت ، فى قلعة هارتز

هارولد : أو فى ورمز

لاندولف : حسب الدور الذى نلعبه ، تذهب معنا ، فهى تارة هنا ، وتارة هناك .

اوردولف : ساكسونيا .

هارولد : لومبارديا

لاندولف : ضفاف الراين

التابع الأول : (دون ان يتحرك ، شفتاه لا تكادان تنفرجان) بس .. بس ..

هارولد : (يلتفت عند سماع الصوت) ماذا جرى ؟

التابع الأول : (بصوت خفيض ، وبدون حركة ، كما لو كان تمثالا) هل يأتى إلى هنا ، أم لا (اشارة الى هنرى الرابع)

أوردولف : كلا . كلا .. إنه نائم لا تقلق بالك

التابع الثاني : (يتراخى فى وقفته ، يأخذ نفسا عميقا ويرقد ثانية على الحافة الخشبية) أما كان يجب أن تخبرنا ؟

التابع الأول : (الذى يكون قد تراخى ايضا فى وقفته ، يتحرك نحو هارولد)

ألديك ثقاب من فضلك ؟

لاندولف : لا يمكن ان تدخن غليونا هنا

(هارولد يشعل عود ثقاب)

التابع الأول : كلا ، سيجارة فحسب **(يشعل سيجارته من عود الثقاب الذى يمسكه هارولد ، ثم يتجه هو ايضا نحو الحافة الخشبية حيث يرقد ويدخن)**

(فى هذه الاثناء ، كان برتولد يتمشى فى الغرفة متفرجا على المنظر الصغير ، يتنازعه العجب والحيرة ، وكلما دقق النظر فى ملابسه وملابس الآخرين ، وكلما اطال النظر نحو غرفة العرش ، زادت دهشته وعظمت حيرته)

برتولد : هذه الغرفة .. وتلك الملابس .. اى هنرى رابع هو ؟ لقد حيرتمونى .. أهو هنرى الرابع ملك فرنسا أو لا ؟

(عند سماع السؤال ينفجر لاندولف ، هارولد ، واوردولف فى ضحك صاخب)

لاندولف : **(وقد غلبه الضحك)** يقول هنرى الرابع ملك فرنسا **(بينما يقول ذلك يشير إلى برتولد ، كما لو كان يدعو إخوانه الضاحكين للسخرية منه)**

اوردولف : **(ضاحكا يشير ناحية برتولد)** لقد كان يظن انه هنرى الرابع ملك فرنسا .

هارولد : ايها الزميل العزيز انه هنرى الرابع الألمانى ، الذى ينحدر من الاسرة السالية .

أوردولف : الامبراطور العظيم ، ذو التاريخ المفجع

لاندولف : الذى يعيش فى كانوسا .. اننا نحيا فى حرب شعواء يوما بعد يوم بين الكنيسة والدولة ... ها .. ها ..

أوردولف : الامبراطورية ضد البابوية .. ها .. ها ..

هارولد : اعداء البابا ضد البابا

لاندولف : الملوك ضد اعداء الملوك

اوردولف : وحرب ضد الساكسون

هارولد : وكل الامراء الثائرين

لاندولف : ضد ابناء الامبراطور نفسه

برتولد : **(يضع يديه على اذنيه كما لو كان يحمى نفسه من هذا السيل المتدفق من المعلومات)** فهمت ! فهمت .. بالطبع لم أكن ادرك شيئا فى اول الامر ... كم كنت مصيبيا .. كنت اعلم أن هناك شيئا فى الامر منذ دخلت هنا ، فانى عندما رأيت نفسى ارتدى هذا الزى ، قلت لنفسى : « إن هذا الزى لا علاقة له بالقرن السادس عشر » .

هارولد : سحقا للقرن السادس عشر .

اوردولف : اننا فى هذه اللحظة ، وفى تلك الغرفة بالذات ، فى احدى السنوات الواقعة بين عامى ١٠٠٠ و ١١٠٠

لاندولف : تستطيع ان تدرك ذلك بنفسك ... اذا كنا فى الخامس والعشرين من يناير عام ١٠٧٧ امام كانوسا ...

برتولد : **(وقد ازداد سخطه عن ذى قبل)** يالله .. لقد وضعت نفسى فى موقف لا احسد عليه .

اوردولف : فعلا ... اذا كنت تتصور اننا فى البلاط الفرنسى .

برتولد : ولكن ماذا افعل بكل المعلومات التاريخية التى حفظتها عن ظهر قلب ... ؟

لاندولف : نحن ياطفلى العزيز نعيش اربعمائة سنة قبلك ، وانت بالنسبة لنا لا تعدو ان تكون طفلا رضيعا .

برتولد : **(وقد غلب الغضب على صوته)** ياللجحيم ... كان بوسعهم ان يخبرونى انه هنرى الرابع الالمانى وليس الفرنسى .... لقد امهلونى اسبوعين كى اتقن الدور واحفظ المعلومات ... والله وحده يعلم كم من الكتب تصبب عرقى فى قراءتها .

هارولد : ولكن ألم تكن تعلم أن دور تيتو هنا كان آد ألبرت دى برمن

برتولد : آد ألبرت ... هه ... اجبنى ... من اين لى ان اعرف .. من يكون ذلك الآد ألبرت .. ؟

لاندولف : كلا .. بالطبع .. كلا ، ولكن ... كما تعلم .. عندما مات تيتو ، فان الماركيز الصغير دينولى ..

برتولد : نعم .. ذلك الشاب .. كانت غلطته ... لم يكن يضيره فى شىء لو اخبرنى .

هارولد : ربما ظن انك كنت تعرف ...

لاندولف : لم يكن يريد احدا ان يأخذ مكان تيتو ... كان يظن ان ثلاثتنا نكفى ونستطيع القيام بالمهمة .. ولكنه بدأ ... كان يصرخ فجأة .. « بعد أن طردوا آد ألبرت .. « لانه ، كما ترى ، لم يخطر بباله أن تيتو المسكين قد مات ... كان يظن انه بوصفه الاسقف آد البرت ، فان اعداءه قد طردوه من البلاط ... اساقفة كولونيا وميتز .

برتولد : (**يدفن رأسه بين يديه**) ولكنى لا افهم كلمة واحدة من هذا الهراء .

اوردولف : اذن فقد حصلت عليها ياولدى العزيز .

هارولد : المشكلة هو اننا ايضا لا نعرف من تكون .

برتولد : لا تعرفون ! تعنى انه حتى انتم لا تعرفون من المفروض أن اكون ...

اوردولف : هه .. برتولد .

برتولد : برتولد ؟ لماذا برتولد ؟ اى برتولد ؟

لاندولف : (**من الواضح انه يقلد هنرى الرابع**) لقد طردوا آد ألبرت ... حرمونى من آد البرت .. هه ؟ جميل جدا ، على ببرتولد ، اريد برتولد .. واخذ يصيح مناديا على برتولد ...

هارولد : ووقفنا نحن الثلاثة ننظر إلى بعضنا البعض متسائلين عمن يكون برترلد هذا .

اوردولف : وهأنت ياصديقى العزيز ... « برتولد »

لاندولف : انا متأكد انك سوف تكون برتولدا رائعا

برتولد : (**فى ثورة كما لو كان يستعد للرحيل**) لا وحياتكم ... شكرا جزيلا ... ولكنكم لن تقنعونى ان اعمل برتولد ... اننى راحل .. اننى ذاهب من هنا(**هارولد وأوردولف يمنعانه ... الثلاثة يضحكون**)

هارولد : صبرا ... اهدأ ... لا تنفعل .. لا تجعل هذا الامر يكدرك ...

اوردولف : وعلى أية حال فليس من الضرورى أن تشبه برتولد فى تلك القصة الخرافية ...

لاندولف : واذا كان ذلك يريحك ، فاننا ايضا لا نعرف من نكون ... هو هارولد ... وهذا اوردولف .. وانا لاندولف ... هذا ما يسمينا وقد اعتدنا على ذلك الآن ... ولكن من نحن ؟ اسماء من ذلك العصر ... واسمك ايضا احد اسماء ذلك العصر ... « برتولد » .. لقد كان احدنا فقط وهو المرحوم تيتو يؤدى دورا حقيقيا ... أحد تلك الادوار التى تقرأ عنها فى كتب التاريخ .. كان اسقف برمن وكان يبدو فعلا مثل الاساقفة ... كان ممثلا مجيدا تيتو هذا وكان له باع طويل فى ادوار الاساقفة .

هارولد : اجل فقد قرأ كتبا لا عد لها ولا حصر وكانت امامه الفرصة لحفظ دوره بعناية .

لاندولف بل أنه كان يصدر الاوامر إلى صاحب الجلالة وكان يعارض آراءه ويرشده وينصحه فى كل شىء ... كان مثل الاستاذ الطيب والمستشار المخلص .. ونحن ايضا مستشارون ... مستشارون خصوصيون ولكن ... انت تعرف ماذا اعنى .. كان شيئا آخر ، اما نحن فلسنا سوى اناس عاديين ، اشياء متكررة ... لان كتب التاريخ تقول ان الارستقراطية العليا كانت تكره هنرى الرابع لانه كان يحيط نفسه فى البلاط بشبان من الارستقراطية الدنيا .

اوردولف : نحن ...

لاندولف : اجل ... اتباع ملكيون تافهون ... فى خدمة الامبراطور ... منحلون قليلا .. مرحون ..

برتولد : وهل يجب ان أكون مرحا انا الآخر ؟

هارولد : بالطبع ... مثلنا تماما .

اوردولف : ولكنى احذرك ... انها ليست بالمهمة السهلة على الاطلاق

لاندولف : شىء يؤسف له ... لاننا بهذه الملابس وتلك المناظر الرائعة يمكننا

ان نقدم عرضا تاريخيا رائعا ــ فالجماهير هذه الايام تقبل اقبالا شديدا على مثل هذه العروض ... وهناك مادة كافية جدا لمسرحية فى قصة هنرى الرابع ... بل نستطيع ان نستخرج من حياته نصف دستة من المآسى٠لا مأساة واحدة .. هيه ... ولكن .. لا فائدة فنحن الاربعة ، وهذان الغبيان (**يشير ناحية التابعين**) عندما يقفان فى وضع انتباه ويتصلبان اسفل هذا الدرج .. نحن ... نحن ... على هذه الحالة ... دون ان يقدمنا احد فى عرض مسرحى أو فى مشهد أو اثنين .. نحن ... ماذا اقول ؟ .. شكل بلا مضمون .. ونحن اتعس حالا من المستشارين الخصوصيين الحقيقيين لهنرى الرابع لانه ... لان احدا لم يعطهم ادوارا يلعبونها ... على الاقل لم يكونوا يعرفون انه من المفروض عليهم ان يلعبوا دورا ... لقد كانوا يلعبون دورهم لانهم كانوا يلعبون دورهم ولكنه لم يكن دورا ... كان حياتهم ... كانوا يرعون مصالحهم الخاصة على حساب الآخرين ، كانوا يبيعون الامتيازات ... والله وحده يعلم ماذا ايضا كانوا يبيعون ... اما نحن .. فها نحن ... نرتدى تلك الملابس فى هذا البلاط الرائع ... وماذا نفعل ؟ لاشىء ... اننا اشبه ما نكون بست دمى معلقة على الحائط تنتظر من يأتى لينزلها ... تنتظر من يأتى ليحركها فى هذا الاتجاه أو ذاك ويلقنها كلمة أو كلمتين لتقولها .

هارولد : كلا ياعزيزى ... ليس هذا صحيحا .. فعلينا ان نجيب اجابات صحيحة وعلينا ان نعرف عمّا يتكلم فالويل لك اذا قال شيئا ولم تجبه بمايريده هو ...

لاندولف : نعم هذا صحيح ... هذا صحيح جدا .

برتولد : لقد قلت انه ليس هناك ما نفعله ... كيف بحق الشيطان أجيب الاجابات الصحيحة اذا كنت قد حفظت هنرى الرابع ملك فرنسا ، ثم اتضح انه هنرى الرابع الالمانى ؟

(لاندولف واوردولف وهارولد ينفجرون فى الضحك مرة أخرى)

هارولد : الافضل ان تعالج ذلك فى الحال ان لم يكن قبل ذلك .

اوردولف : لا تقلق ، فسوف نساعدك .

هارولد : ان لدينا مئات من الكتب حول هذا الموضوع .. وكل ما عليك ان تفعله هو ان تمر بسرعة على النقط الرئيسية .

اوردولف : ومن الجائز انك تعرف كل شىء عن الموضوع بصورة غامضة

هارولد : إنظر إلى هذه الصورة (**يديره ثم يريه صورة الماركيزة ماتيلدا على الحائط الخلفى**) من هذه مثلا ؟

برتولد : (**ينظر إلى الصورة**) من هذه ؟ اول ما اريد ان اقوله هو انها ليست فى مكانها ... صورتان حديثتان وسط كل هذه الاشياء العتيقة المحترمة ... ؟ ام ترانى قد اخطأت ؟

هارولد : كلا ... انت مصيب تماما . فى الواقع لم تكونا هنا فى بادىء الامر .. هناك فجوتان خلف هاتين الصورتين ... وكان يجب ان يوضع فيهما تمثالان منحوتان على طريقة ذلك العصر ... وعندما تركت الفجوتان فارغتان ... وضعوا هاتين اللوحتين ...

لاندولف : (**يقاطعه ويكمل الحكاية**) ولكن من المؤكد أنها كانت تصبح غلطة جسيمة لو كانتا حقا لوحتين

برتولد : وماذا تكونان ... ؟ أليستا لوحتين ؟

لاندولف : اجل اذهب والمسهما ... انهما لوحتان ولكن بالنسبة له (**يشير بحذر إلى اليمين ... يقصد هنرى الرابع**) ... الذى لا لمسهما ..

برتولد : لا ؟ وماذا تكونان بالنسبة له اذن ؟

لاندولف : انهما ... ولكن اسمع ... اننى اقول لك ما اظنه تفسيرا للموقف ... ولكنى مستعد ان اراهن اننى لست مخطئا فى التخمين ... انها خيالات ... مثل الصور التى تعكسها المرآة ... اتفهم ماذا اعنى ؟ هذه اللوحة هناك (**مشيرا إلى صورة هنرى الرابع**) تمثله ... الرجل الحى صاحب غرفة العرش هذه .. وهذه الغرفة تشبه بالطبع غرف ذلك العصر تماما ، كما يجب ان تكون ... ما الغريب فى الامر اذن ؟ لو وضع احدهم امامك مرآة هنا فى هذه اللحظة ... افلا ترى فيها رجلا يعيش فى العصر

الحديث مرتديا ملابس تاريخية ... المسألة اذن أن هناك مرآتين تعكسان صورا حيـة وبيط عالم ... ولكن لا تقلق يـا صديقى فسترى ... سوف ترى ، بعد ان تعيش معنا فترة ... سوف تبدو لك كما لو كانت حية ...

برتولد : لا ، اسمع ... ليست لدى رغبة خاصة ان اصاب بالجنون هنا .

هارولد : سحقا للجنون ... انك سوف تستمتع بوقت رائع هنا .

برتولد : ولكن كيف وصلتم جميعا إلى هذه الدرجة من العلم ... ؟

لاندولف : انك يا عزيزى ، لا تستطيع ان تعود ثمانمائة سنة إلى الوراء فى التاريخ دون ان تكتسب نوعا من الخبرة .

هارولد : والآن ... فلنستمر فى تعليمك وسوف ترى ان الامر لن يستغرق وقتا يذكر .

اوردولف : فى مدرستنا ... سوف تصبح انت ايضا عالما وحكيما .

برتولد : بحق السماء ساعدونى بكل قـدرتكم وبسرعـة .. ارجوكم ... الخطوط الرئيسية على الاقل .

هارولد : دع هذا لنا ... قليل هنا ... قليل هناك .. يقول لك شيئا ... اقول لك شيئا .

لاندولف : سنوصل جميع اسلاكك ونتأكد انك فى حالة صالحة للعمل ... تماما مثل دمية ممتـازة من الدرجـة الاولى ... والآن فلنذهب **(يقوده من ذراعه فى طريقهما للخارج)**

برتولد : **(يتوقف وينظر نحو الصورة المعلقة)** انتظر لحظة ... انك لم تقل لى من هذه ... اهى زوجة الامبراطور ؟

هارولد : كـلا ... فزوجـة الامبراطـور هى برثـا دى سـوسـا ... اخت اماديوس الثانى دى سافوى

اوردولف : ان الامبراطور لا يتحملهـا ... فهو يـريد ان يكـون شابـا ... مثلنا ... ولذلك فهو يريد التخلص منها

لاندولف : اما هذه ... فهى ألد اعدائه ، ماتيلدا ماركيزة توسكانيا

برتولد : فهمت ... ألـم تكن هــى من ... ؟ ألـم يكن البـابـا يقيـم فى قلعتها ... ؟

لاندولف : بالضبط .. فى كانوسا

اوردولف : البابا جريجورى السابع

هارولد : أبغض شيء إلى نفوسنا ... ولكن هيا بنا .. فلنتحرك ...

(بينما يتحرك الاربعة نحو اليمين ، حتى يخرجوا من نفس الباب الذى دخلوا منه .. يدخل التابع العجوز جون من اليسار مرتديا زى رئيس خدم عصرياً)

هارولد : **(يتوقف ثم يستدير نحوه)** ماذا تريد ؟

برتولد : **(مندهشا من دخول جون إلى قاعة العرش مرتديا ملابس عصرية)** أوه ... هذه هى القشة الاخيرة ... إنه ... اقصد ... فى ملابسه هذه ... هنا ...

لاندولف : اخرج يا رجل القرن العشرين **(يندفع مع زميليه نحوه بتهديد مفتعل ساخر كما لو كانت لديهم النية أن يقذفوا به خارجا)**

إردولف : اغرب بعيدا يا رسول جريجورى السابع

هارولد : اغرب ... اغرب

جون : **(يدافع عن نفسه)** ألن تكفوا عن لعب ادوار المغفلين ؟ **(صوت قلق)**

أوردولف : إبدا ... لن تدخل هنا ابدا

هارولد : أخرجوا المغير ... أخرجوه

لاندولف : **(لبرتولد)** اترى هذا السحر ... انه شبح استدعاه ساحر روما ... أخرجوا سيوفكم .. أخرجوا سيوفكم **(يضع يده هو الآخر على مقبض سيفه ويبدأ فى اخراجه)**

جون **(يرفع صوته عاليا ليغطى على الضجة)** كفوا ... كفوا عن هذه الحماقات .. لقد وصل الماركيز مع بعض اصدقائه ...

لاندولف : **(يفرك يديه)** الله ... أوه ... وهل هناك ... هه .. سيدات ؟

اوردولف : **(يفرك يديه أيضا)** عجائز أم شابات ؟

جون : هناك سيدان ...

هارولد : اجل ... اجل ولكن ماذا عن السيدات ؟ السيدات يا رجل من هن ؟

جون : الماركيزة وابنتها

لاندولف : ماذا قلت ؟ الماركيزة ؟
اوردولف : (**مندهش ايضا**) الماركيزة ؟ هل قلت الماركيزة ؟
جون : اجل الماركيزة ... الماركيزة ...
هارولد : ومن السيدان .. ؟
جون : لا اعرف ..
هارولد : (**لبرتولد**) ارأيت لقد جاءوا ليعطونا مضمونا يناسب شكلنا ...
اوردولف : انهم رسل من عند جريجورى السابع ... سوف نلهو ونلعب
جون : هلا اعطيتمونى فرصة كى اتكلم ام لا ؟
هارولد : هات ما عندك ... هات ما عندك
جون : اعتقد ان احد الرجلين طبيب
لاندولف : اوه ... احد هؤلاء ....!
هارولد : فلنصفق ثلاث مرات لبرتولد فقد جاء بالخبر معه
لاندولف : انتظر حتى ترى كيف نعالج الدكتور ، سوف نصلحه !
برتولد : يبدو اننى سوف اغرق حتى اذنى فى المتاعب قريبا
جون : أصغوا إلى ما سأقوله .. انهم يريدون الدخول هنا ... فى قاعة العرش
لاندولف : (**يختلط الرعب والدهشة فى صوته**) ماذا ؟ .. تريد ... الماركيزة تريد الدخول هنا ؟
هارولد : يبدو انهم سوف يعطوننا المضمون بانتقام اذا دخلت هنا
لاندولف : سوف تكون هناك مأساة حقيقية
برتولد : (**وقد اثار ذلك فضوله**) لماذا ؟ قل لى لماذا ؟
اوردولف : (**مشيرا إلى الصورة**) ألا تدرك ان هذه صورتها ؟
لاندولف : ان ابنتها مخطوبة للماركيز
هارولد : ولكن لماذا جاءوا إلى هنا ؟ هل يسمح لنا ان نعرف ؟
اوردولف : اذا وقع نظره عليها ... ياه ... سوف تكون هناك متاعب كثيرة
لاندولف : ربما لم يعد بإمكانه التعرف عليها
جون : والمطلوب منكم ان تبقوه حيث هو ... اذا استيقظ ...
اوردولف : ايه ؟ اتفرض ان هذه نكتة ؟ وكيف نفعل ذلك ، بعد اذنك ؟

هارولد : انك تعرف حالته جيدا

جون : بحق السماء ! استخدموا القوة اذا لزم الامر .. هذه اوامرى .. والآن اذهبوا

هارولد : اجل يحسن ان نذهب فربما كان قد استيقظ فالوقت متأخر

اوردولف : فلنذهب اذن ... فلنذهب

لاندولف : (**لجون ، بينما يخرج مع الآخرين**) ولكن لابد ان تقص علينا الحكاية كلها فيما بعد

جون : (**صائحا**) اغلقوا الباب وراءكم وأخفوا المفتاح ... وهذا الباب ايضا (**يشير إلى باب اليمين**)

(لاندولف وهارولد وبرتولد واوردولف يخرجون من الباب الثاني إلى اليمين)

جون : (**للتابعين**) وانتما ... اذهبا .. من هنا (**يشير إلى الباب الاول إلى اليمين**) وأغلقا الباب وراءكما وخذا المفتاح ايضا

(يخرج التابعان من الباب الاول إلى اليمين . يذهب جون إلى باب اليسار ويفتحه للماركيز دينوللى)

دينوللى : هل فعلت ما امرتك به ؟ هل يعرفون ما عليهم ان يفعلوه ؟

جون : نعم ياسيدى ... كل شىء على ما يرام ... (**دينوللى يخرج للحظه ثم يعود مع الآخرين ... يدخل البارون تيتو بلكريدى أولا يصحبه الدكتور دينو نيزيو جينونى . ثم تدخل الماركيزه ماتيلدا سبينا مع ابنتها الماركيزة فريدا . جون ينحنى ثم يخرج**)

(الماركيزة ماتيلدا فى حوالى الخامسة والاربعين ... مازالت جميله ، ومازال جسمها منسقا ، ولكن من الواضح جدا انها حاولت بالماكياج ، ان تصلح ما افسده الدهر ، ولكن رغم زيادة هذا الماكياج على الحد ، الا انها قد صنعته بمهاره ... يذكرنا رأسها بإحدى الهات غزاة الشمال اللواتى كن يخترن المحاربين الذين سوف يسقطون صرعى فى الحرب ... الماكياج منقوش ببراعة ، ويلاحظ ان هناك صراعا مقلقا فى فمها ، حيث يختلط الجمال الباهر ، بالحزن الدفين . الماركيزه ظلت أرملة لبضع

سنــين ،ولها الآن عشيق هــو البارون تيتــو بلكريــدى ، الذى لا تأخذه ، ولا يأخذه احد ، مأخـذ الجد او عـلى الاقل هـذا ما يبدو فى الظاهر ، أما ماذا يكون بلكريدى بالنسبة لها حقيقة ، فلا احد يعرف ذلك غيره ، ولذلك فهو يستطيع ان يضحك اذا رأت عشيقته انها تحتـاج إلى التظاهـر بعدم معـرفة العـلاقة بينهما ، ولذلك ايضا فهو يستطيع دائما ان يضحك على النكات التى تلقيها الماركيزة على حسابه ، وأن يتقبل الضحك الساخر الذى تثيره دعاباتها بين معارفهما بصدر رحب . تيتو بلكريدى نحيف زحف الشيب على رأسه قبل الاوان وهو اصغر فى السن قليلا منها ... يشبه رأسه رأس طـائر ، وكـان يمكن ان يكون انسانا نشيطا جدا لولا ان خفة روحه وسرعته اللتين صنعتا منه مبارزا حاذقا يطغى عليهما نـوع من الكسل والتـراخى يظهر بوضوح فى صوته الخفيض الذى يخرج من انفه .

اما فريدا ، ابنة الماركيزة ، فهى فى التاسعة عشرة وهى دائما حزينة لأن جمال امها الفتان وشخصيتها الطاغية يطغيان عليها ... وفى حياتها سبب آخر للحزن وهو الثرثرة التى تثيرها تصرفات أمها ، وهى ثرثرة تضرها كما تضر أمها ... ومع ذلك فمن حسن حظها انها مخطوبة للماركيز شارل دينولـلى ، وهو رجـل صلب عطوف فى معـاملاتـه مع النـاس ، ولكنه متحفظ ومتمسك بتقديره لنفسه فى العالم ، رغم انه فى اعماق نفسه غير متأكد من قيمته ، وعلى اية حال فهو متأثر جدا من ثقل المسئولية التى يعتقد انها ملقاة على عاتقه ، ولذلك فهو يعتقد ان العالم مكان جميل يتمتـع فيه الآخـرون ويضحكون ... اجـل الناس المحظوظون ... اما هو فلا ... لا يستطيع ... لا لأنه لا يريد ، ولكن لأنه لا يعتقد ان هذا من حقه ، وهو يلبس الحداد على أمه التى ماتت حديثا .

(اما الدكتور دينونيزيو جينونى ، فله ملامح حادة جريئة تشبه

ملامح الساتير[1] ، عيناه جاحظتان وله لحية صغيرة مستدقة فضية ، يكاد رأسه يكون اصلع تماما ... حركاته وتصرفاته رشيقة . رشيقة .

(يدخل الجميع فى وجل وكانهم خائفون . كلهم فيما عدا دينوللى يتفحصون الغرفة بنظرة مدقق ، وعندما يتكلمون فى بادىء الامر فهم يتكلمون فى صوت خفيض)

بلكريدى : روعة ... روعة ...

الدكتور : شىء غريب مثير للاهتمام ... حتى ادق التفاصيل ... كل شىء ، حوله يناسب وهمه الخاص ... رائع جدا حقا ، أجل ... انت على حق تماما يا عزيزى البارون ... روعة .

دونا ماتيلدا : **(بعد ان تبحث عن صورتها ... تراها وتذهب اليها)** ما هى **(تقف بعيدا عنها وتتفحصها ... تتنازعها عوامل متباينة)** اجل ... اجل ... انظروا ... ياإلهى **(تنادى على ابنتها)** فريدا .. فريدا ... انظرى

فريدا : اوه .. صورتك تقصدين .. ؟

دونا ماتيلدا : كلا ... انظرى اليها ... انها ليست صورتى ... انها انت ؟

ديبوللى : ألم أقل لك ؟

دونا ماتيلدا : هل قلت لها حقا ...؟ ولكن لم اصدق انها يمكن ان تكون كذلك **(ترتعش كما لو كانت قد اصابتها رجفة فى عمودها الفقرى)** ياإلهى .. ياله من احساس غريب ينتاب المرء **(تنظر إلى ابنتها)** ماذا جرى يا فريدا **(تجذبها نحوها وتحيط خصرها بذراعيها)** هيا ... ألا ترين نفسك فى صورتى المعلقة هناك ... ؟

فريدا : اقول لك الحق ... انا ...

دونا ماتيلدا : لا تستطيعين ... ولكن لماذا ... لا ادرى كيف يمكن الا

---

(1) وهى مخلوقات نصف آدمية نصف ماعزية كان قدماء الاغريق يقلدونها فى احتفالاتهم بعيد ديونيسيوس اله الخمر .

تلاحظى ... (تستدير نحو بلكريدى) تيتو ... انظر وقل لها .

بلكريدى : (دون ان ينظر) اوه كلا ... لن انظر ... بالنسبة لى لابد ان تكونى مخطئة

دونا ماتيلدا : ياله من مغفل ذلك الرجل ... انه يظن انه يطرينى (تستدير إلى الدكتور جينونى) قل لها انت يادكتور ... قل لها انت ...
(يتحرك الدكتور ناحية الصورة)

بلكريدى : (يظل مديرا ظهره ويتظاهر بشتى الطرق انه يحاول ان يجتذب انتباه الدكتور) بس ... كلا يا دكتور ... بحق السماء ... لا تتدخل فى هذا الامر

الدكتور : (بابتسامة دهشة) ولم لا ؟

دونا ماتيلدا : لا تعره اهتماما ... تعال هنا يادكتور ، انه لا يطاق ...

فريدا : الم تكونى تعلمين انه يقوم دائما بدور الاحمق ... انها رسالته فى الحياة

بلكريدى : (للدكتور حين يراه يتوجه نحو الماركيزة) حاسب على خطاك يادكتور ... حاسب على خطاك واعرف ما انت مقدم عليه ... قدماك .

الدكتور : (بنفس ابتسامة الدهشة) قدماى ؟ مالهما قدماى ؟

بلكريدى : ان حذاءك من حديد

الدكتور : حذائى ... ؟

بلكريدى : اجل يادكتور ... وسوف يقابل اربع اقدام صغيرة من الزجاج ...

الدكتور : (ضاحكا بصوت عال) لا ... لا ... انت مخطىء ، وعلى كل حال ، انا لا ارى اى غرابة فى ان تشبه البنت امها ...

بلكريدى : طاخ ، طيخ ، طوخ ، ها قد فعلتها

دونا ماتيلدا : (تتقدم نحو بلكريدى وقد استشاطت غضبا) ماذا تقصد ؟ طاخ طيخ طوخ ؟ ماذا فعل ؟ ماذا قال ؟

الدكتور : (فى براءة) ألا تعتقد اننى ربما كنت على حق ؟

بلكريدى : (اجابة عن اسئلة الماركيزة) لقد قال انه لا يرى فى الامر غرابة ، بينما ظللت طول الوقت تصرخين من الدهشة ... لماذا

تعتريك الدهشة اذا كان الامر كلـه يبدو لـك طبيعيا وبسيطـا الآن ؟

دونا ماتيلدا : (وقد زاد غضبها) ايها الابله ... الابله ... لانه بالضبط كما قلت ... طبيعي ... لان من يراها هناك ليست ابنتى (تشير إلى اللوحة) هذه صورتى ... لقد كان اكتشافى ابنتى هناك ... بدلا منى ، هو ما ادهشنى ... وعندما اقول ادهشنى فأرجـوك ان تصدق اننى صادقة ... اننى امنعك من ان تشك فى ذلك (تعقب هذه الغارة العاتية لحظة سكون حرج)

فريدا : (بهـدوء وتعـب) يـاحفيظ ... الحـال هكـذا دائمـا ... مشاجرات ... مشاجرات حول لا شىء .

بلكريدى : (بهدوء وفى لهجة من يعتذر حتى لتحس بذيله بين ساقيه) انا ياعزيزتى لم اشك فى ذلك (ثم لفريدا) لقد لاحظت كيف انك ، منذ دخلنا هنا ، لم تشاركى امك فى دهشتها ، أو إنك ، اذا كنت قد دهشت ، فان ذلك كان لانها وجدت تشابها غريبا بينك وبين الصورة

دونا ماتيلدا : طبعا ، فمن الطبيعى ان تدهش ... لانها لا تستطيع ان تتعرف على نفسها فى صورتى عندما كنت فى سنها ، بينما حين انظر أنا إلى الصورة ، ارى نفسى جيدا فى صورتها الآن ...

الدكتور : بالضبط ... لان الصورة موجودة دائما ... تخلد إلى الابد لحظة معينة ... وبالنسبة للآنسة ، فهى شىء بعيد ، لانها لا تحمل لها ذكريات ... اما بالنسبة للماركيزة ، فهى تذكرها بأشياء كثيرة ، ذكرى اشارة ، نظرة ، ابتسامة ، حركة ، ... ذكريات عن اشياء كثيرة جدا غير موجودة فى الصورة ولكنها اشياء ...

دونا ماتيلدا : بالصواب ما تقول يادكتور ... بالصواب ما تقول ...

لدكتور : (يتحول اليها ثم يستمر) وانت طبعا تستطيعين رؤية كل هذه الاشياء وهى تعيش مرة اخرى فى ابنتك ...

دونا ماتيلدا : انه ينجح دائما فى افساد كل شىء ، كلما اظهر اصغر دليل على الاحساس الحقيقى ... انه يفعل ذلك ليضايقنى ...

الدكتور : (وقد بهره الضوء الذى استطاع القاءه على الامور ، يتحول

حـديثه إلى حديث طبى علمى ويتلفت إلى بلكـريـدى ثم يستأنف كلامـه) ان التشابهـات ، ياعـزيزى البـارون ، ... التشابهات غالبا ما تنبع من اشياء لا يفكر المـرء فيها ... وفى الواقع ان هذا ليفسر ...

بلكريدى : (يوقف المحاضرة) يفسر ان بعضهم يمكن ان يلحظ شبها بينى وبينك ياعزيزى الاستاذ ...

دينوللى : فلنوقف كل هذه المناقشات ... كفوا عنها من فضلكم ... كلكم (يشير إلى باب اليمين ، محذرا اياهم ان شخصا بالداخـل يمكن ان يسمعهم) لقد اضعنا وقتا كثيرا حتى الآن منذ وصلنا هنا والـ .....

فريدا : كان ذلك متوقعا ، ما دام موجودا (تشير إلى بلكريدى)

دونا ماتيلدا : (على الفور) ولهذا لم اكن اريده ان يأتى إلى هنا ...

بلكريدى : ولكنكم قضيتم وقتا ممتعا فى السخرية منى يا ناكرى الجميل !

دينوللى : تيتو ... من فضلك كفاية ، لقد حضرنا هنا من اجل غرض مهم جدا وانت تعلم اهمية ذلك عندى ... لقد جاء الدكتور جينونى معى كى ...

الدكتور : فعلا ياعزيزى الماركيز فعلا ... اولا احب ان استوضـح نقطة أو نقطتين ... واغفروا لى هذا السؤال ولكن ... صورتـك هذه ياسيدتى الماركيزة ... كيف تأتى لها ان تكون هنا بـ ... هـل اهديتها له ؟

دونا ماتيلدا : كلا ... كلا ... بأى حق كنت اعطيها إياه ؟ لقد كنت فتاة فى مثل عمر فريدا فى ذلك الوقت ، لم اكن حتى مخطوبة ... لقد سلمتها بعد الحادث بثلاث سنوات أو اربع (تشير إلى دينوللى) لقد رجتنى امه واستحلفتنى ان اعطيها إياه ...

الدكتور : امه ... اخته (اشارة إلى هنرى الرابع ، يشير إلى باب اليمين حين يقول « اخته »)

دينوللى : اجل يادكتور ... وقد جئنا إلى هنا هكذا ، وفاءً لوعد قطعناه لأمى التى ماتت منذ شهر ... ولولا ذلك لما كنا (يشير إلى فريدا) هنا الآن ... كان يجب ان نكون فى شهر العسل

الدكتور : مشغولان بطريقة اخرى هه ....
دينوللى : هه .... لقد ماتت وهى تعتقد اعتقادا راسخا ان اخاها يتماثل للشفاء ...
الدكتور : هل يمكن ان تخبرنى ما الذى دعاها ان تعتقد هذا ؟
دينوللى : يبدو ان اعتقادها قام على ... على بعض الملاحظات التى ابداها قبل ان تموت امى بوقت قصير ...
الدكتور : ملاحظات ... هه ... هه ... أتعرف أنه سوف يكون مفيدا جدا ... مفيدا جدا ... أن أعرف ماذا قاله ...
دينوللى : أخشى ان اقول لك انى لا اعرف ... فكل ما اعرفه هو ان امى كانت مضطربة جدا حين رجعت من زيارته تلك المرة ... كانت المرة الاخيرة التى رأته فيها ويبدو انه بدأ رقيقا على غير عادته ، كما لو كان يعرف انها سوف تموت قريبا ... وعلى فراش موتها جعلتنى اعدها ألا اهمله ابدا ... وان اجعل الناس يزورونه .. وان احضر له الاطباء المناسبين ...
الدكتور : أجل .. أجل .. طيب فلنر .. فلنر .. أول شىء ... وهو غالباً ما يكون أتفه الأسباب ... هذه الصورة ... إذن ....
دونا ماتيلدا : بحق السماء يا دكتور .. لا أرى أى داع لتعليق هذه الأهمية على هذا الموضوع .. لقد اثرت فى بهذه الطريقة لأننى رأيتها آخر مرة منذ سنوات عديدة ..

الدكتور : من فضلك ياسيدتى ... من فضلك ... قليلا من الصبر ...
دينوللى : اجل لابد انها كانت هنا منذ خمسة عشر عاما
دونا ماتيلدا : اطول من ذلك ... اكثر من ثمانية عشر عاما
الدكتور : عفوا لمقاطعتى حديثكم ... ولكن .. من فضلكم دعونى اكمل حديثى ... انكم لم تعطونى الفرصة كى اقول لكم ماذا احاول ان اصنع ... اننى اعلق اهمية كبرى على هاتين الصورتين اللتين ارى انهما رسمتا قبل المهرجان المشهور المنكود ... هل اصبت ؟
دونا ماتيلدا : اجل ... بالتأكيد

الدكتور : اى عندما كان عقله سليما تماما ... هذا ماكنت اعنيه ... أكان هو الذى اقترح ان ترسم صورتك ؟

دونا ماتيلدا : كلا يادكتور ... فمعظم من اشتركوا منا فى المهرجان رسمت صورهم كتذكار للمناسبة .

بلكريدى : وقد رسمت لى صورة ايضا فى زى شارل دانجو

دونا ماتيلدا : لقد رسمت الصور بعد ان اعدت الازياء مباشرة

بلكريدى : فقد كانت هناك فكرة لجمع كل الصور وتعليقها فى صالون الفيلا التى يقام بها المهرجان كسجل أو كمعرض دائم لتخليد ... ولكن عندما جاء الوقت ، اراد كل واحد ان يحتفظ بصورته ..

دونا ماتيلدا : وكما قلت لك ... فاننى قد اعطيت له هذه الصورة ... صورتى ... دون ان اندم ، لأن والدته (**تشير ناحية دينوللى**) ..

الدكتور : ألا تعرفين ما اذا كان هو الذى طلبها ... ام لا ؟

دونا ماتيلدا : آسفة ... لا اعرف ... ربما ... وربما ارادت اخته ان تساعده ، لانها تحبه ، ربما كانت ...

الدكتور : شىء آخر ... نقطة اخرى ... ذلك المهرجان ... هل كانت فكرته ؟

بلكريدى : (**على الفور**) كلا ... كلا ... لقد كانت فكرتى انا ... فكرتى انا ...

الدكتور : من فضلك ... ظهور الجياد ... شىء تاريخى ... أهم ... ربما كان اصدق وصف له هو ان نقول انه كان موكبا كبرج بابل ... وكان على كل منا ان يختار شخصية تاريخية من أى قرن يحب ، ملكاً أو امبراطوراً أو اميراً وان ينضم إلى الموكب ... وكان على كل واحد ان يمتطى جوادا ، وبالطبع فى صحبة سيدته ... ملكته أو امبراطورته .. كما كان على كل واحد ايضا ان يجهز جواده وان يسرجه بما يتمشى مع العصر الذى اختاره ... وقبل اقتراحى فورا ...

دونا ماتيلدا : لا تلق بالا اليه ... لقد كانت فكرة بيلاسى ..

بلكريدى : اللعنة على بيلاسى

دونا ماتيلدا : (للدكتور) كانت فكرة الكونت بيلاسى ، الذى مات ، ورحمه الله ، بعد شهرين او ثلاثة ...

بلكريدى : ولكن بيلاسى لم يكن موجودا حين ...

دينوللى : (يخشى مناقشة حادة أخرى) عفوا يادكتور .. هل من المهم جدا ان تعرف من كان صاحب الفكرة فى الاصل ... ؟

الدكتور : هه ... اجل ... سوف يساعدنى ذلك على ..

بلكريدى : ... ولكنها كانت فكرتى ... رغم اننى ارجو الا تتصوروا اننى سعيد اذ فكرت فيها ... فهى ليست مما يفخر الانسان به ، خاصة حين نعرف كيف انتهت ... اننى اذكر جيدا كيف بدأ كل شىء ... كان ذلك فى احدى امسيات بداية نوفمبر ... كنت فى النادى اقلب صفحات احدى المجلات ... مجلة اسبوعية المانية مصورة ، وكنت اتفرج على الصور ، لاننى لا اعرف الالمانية ... كانت احدى الصفحات تصور القيصر فى زيارة لاحدى المدن الجامعية حيث كان طالبا ...

الدكتور : بون ... بون ...

بلكريدى : بالضبط ... بون ، كان على ظهر جواد ، مرتديا تلك الملابس الغريبة التقليدية كالتى كان يرتديها اعضاء اتحادات الطلاب فى ألمانيا ... كما كان يتبعه موكب من النبلاء على الجياد مرتدين نفس تلك الملابس ... وكانت هذه الصورة هى التى اوحت إلى بفكرة الـ ... ، كانت هناك فكرة فى النادى لتنظيم حفل تنكرى فى موعد الكرنفال القادم ... واقترحت ان ننظم هذا الموكب على ظهور الجياد ... شىء تاريخى ... أهم ... ربما كان اصدق وصف له هو ان نقول انه كان موكبا كبرج بابل ... وكان على كل منا ان يختار شخصية تاريخية من أى قرن يحب ، ملكاً أو امبراطوراً أو أميراً وان ينضم إلى الموكب ... وكان على كل واحد ان يمتطى جوادا ، وبالطبع فى صحبة سيدته ... ملكته

أو امبراطورته .. كما كان على كل واحد ايضا ان يجهز جواده وان يسرجه بما يتمشى مع العصر الذى اختاره ... وقبل اقتراحى فورا ...

دونا ماتيلدا : لقد كان بيلاسى هو من ارسل لى بطاقة الدعوة

بلكريدى : اذا كان قد اخبرك انها فكرته فأنا متأسف أن قلت لك انه لم يكن صادقا ... وانى اكرر انه لم يكن حتى بالنادى عندما اقترحت تنظيم المهرجان .... وكذلك لم يكن هو هناك **(اشارة إلى هنرى الرابع)**

الدكتور : وهل اختار شخصية هنرى الرابع عندئذ ...؟

دونا ماتيلدا : لقد اختارها لاننى ... لان اسمى ... رغم انى لم اهتم كثيرا باختيارى ... لاننى قلت اننى اود ان اكون الماركيزة ماتيلدا دى توسكانى ...

الدكتور : انا ... انا لا افهم العلاقة بين هذا ... و ..

دونا ماتيلدا : لا اظنك تفهم ... وانا ايضا لم افهم فى البداية ... ولقد فوجئت حين قال لى انه حينئذ سوف يكون عند قدمى .... تماما مثل هنرى الرابع فى كانوسا ... كنت قد سمعت طبعا عن كانوسا ولكن ... الحقيقة لم تكن لدى فكرة واضحة عن الموضوع كله ، وقد اعترانى شعور غريب جدا ، حين اكتشفت اثناء قراءة دورى اننى كنت الصديقة الحميمة جدا والمتحمسة جدا للبابا جريجورى السابع ... واننى كنت فى حرب قاسية ضد الامبراطورية الالمانية .. وعندئذ ادركت بوضوح انه حيث اننى اردت ان ألعب دور عدوته اللدود ، فإنه اراد ان يكون بجانبى فى الموكب فى شخصية هنرى الرابع ...

الدكتور : آه ... لانه ... ربما ... ؟

بلكريدى : اعوذ بالله يادكتور .. كان ذلك لانه كان غارقا لاذنيه فى محاولة الفوز برضاها فى ذلك الوقت ، وطبعا هى ... **(يشير بيديه ناحية الماركيزة)**

دونا ماتيلدا : **(وقد استشاطت غضبا كما لو كانت كلماته قد لدغتها)**

طبعا ... بالطبع كان من الطبيعى ان ... وفى ذلك الوقت اكثر من اى وقت آخر ..

بلكريدى : (**يشير اليها**) ارأيت انها لم تكن تطيق الرجل .

دونا ماتيلدا : كلا ... ليس صحيحا ... لم اكرهه ابدا ... بالعكس ... ولكن عندما يبدأ احد الرجال فى طلباته ... وعندما يطلب منى ان آخذه مأخذ الجد ... هه ...

بلكريدى : (**يكمل لها كلامها**) فإنه يعطيك اكبر دليل على غبائه .

دونا ماتيلدا : كلا يا عزيزى تيتو ... لم يكن هذا فى حالته .. فإنه لم يكن غبيا قط .. مثلك

بلكريدى : على اية حال ، انا لم اطلب منك مطلقا ان تأخذينى مأخذ الجد

دونا ماتيلدا : نعم .. اعرف ذلك تمام المعرفة ... ولكن احدا لم يكن يستطيع ان يأخذ شيئا على انه نكتة فى حضرته (**تتغير نبرة صوتها ثم تقول للدكتور**) ان شرما يصيبنا ، يادكتور ، نحن النساء ، ان نرى امامنا دائما عينين تحدقان فينا وقد افعمهما الوعد بالاخلاص الابدى (**تنفجر فى ضحك صاخب**) لا شىء اكثر هزلا من ذلك الموقف ... لو ان الرجال يرون انفسهم عندما تصيب عيونهم حالة الاخلاص الابدى هذه ... لقد كنت دائما اعتقد ان هذا شىء كوميدى ... وكان هذا موقفى فى ذلك الوقت ... ولكنى اريد ان اعترف بشىء ، واظننى استطيع الآن بعد مرور اكثر من عشرين عاما ... فعندما كنت اضحك منه بهذه الطريقة ، لم يكن ذلك فقط لانه كان يسلينى ... كلا ، كنت خائفة منه ايضا ... ربما لان عينيه كان يملؤهما وعد يستطيع الانسان ان يصدقه ... ولكن كان من الخطر ان اصدق هذا الوعد فى ذلك الوقت

الدكتور : (**وقد بدا عليه الاهتمام والتأمل**) هه ... احم ... آه ... هم ... يهمنى جدا ان اعرف .. الخطر هه ؟

دونا ماتيلدا : (**باستخفاف**) اجل .. لانه لم يكن مثل الباقين ... وكذلك فاننى ... اننى ... ماذا اقول ؟ اننى إلى حد ما ... كلا ، حتى

اكون صادقة تماما ... إلى حد كبير ... (**تحاول ان تجد كلمة مناسبة**) ضيقة الصدر ... نعم .. يضيق صدرى بكل ما هو ذهنى ومتعب .. ولكنى كنت صغيرة فى ذلك الوقت وكنت امرأة ... كان على ان آخذ نصيبيا ، وكان ذلك بوسعى ... اوه كان الامر يحتاج إلى شجاعة اكثر مما كنت اظن انها لدى ... ولذلك فانى اخذت اضحك منه ... ولكن الضحك كان مشوبا بالندم .. وكرهت نفسى ، كرهت وجودى كله لما فعلت ، عندما وجدت ضحكاتى تختلط بضحكات الباقين ... الاغبياء الذين كانوا يسخرون منه .

بلكريدى : وهذه هى مصيبتى انا الآخر ... تقريبا

دونا ماتيلدا : انك تدفع الناس للضحك منك ياعزيزى ، لانك دائما تمتهن نفسك اما هو فكان على عكسك ... اوه ان هناك فرقا شاسعا بينك وبينه ، كما ان الناس يضحكون عليك فى وجهك ...

بلكريدى : وهذا افضل مما لو ضحكوا على من وراء ظهرى ...

الدكتور : ارجو ألا نخرج عن موضوعنا ، فلنعد إلى ما كنا نناقشه ... هه ... اذن فقد كان مضطربا بعض الشىء وقتها اذا كنت قد فهمتك ..

بلكريدى : اجل ... ولكن بطريقة غريبة يادكتور ...

الدكتور : ماذا تعنى .. ؟

بلكريدى : آه.... اميل إلى القول بأنه ... كان يتصرف ببرود

دونا ماتيلدا : كلام فارغ ... لم يكن باردا على الاطلاق ... المسألة يادكتور ... كان يتصرف بطريقة غريبة ، لا شك فى ذلك ... ولكن ذلك يرجع إلى انه كان مليئا بالحيوية الدفاقة ... كان ملهما وخياليا ايضا ...

بلكريدى : لم اقل انه كان يتظاهر بأنه مضطرب ، بالعكس ، فكثيرا ما كان يضطرب اضطرابا حقيقيا ، ولكن مستعد ان اقسم يادكتور ، انه فى اللحظة التى يصل فيها إلى حالة النشوة والتسامى ، فإنه كان يدرك ذلك على الفور ، وهذا ما كنت اعنيه ... واعتقد أنه لم يكن يستطيع فكاكا من هذا ، حتى عندما كان يمثل بمنتهى

التلقائية ، وكذلك احب ان اقول اننى متأكد ان ذلك كان سبب آلامه ، فقد كان احيانا ينفجر فى نوبات من الغضب الكوميدى على نفسه .

دونا ماتيلدا : هذا صحيح ...

بلكريدى : (لدونا ماتيلدا) ولماذا ؟ (للدكتور) فى رأيى كان ذلك لان الشفافية المباشرة التى يحققها لعب درو ما ... تمثيل عاطفة معينة ... كانت فى الحال تفصله عن العاطفة التى يحسها ... كان الرباط الوثيق الذى يربطه بالعاطفة يتمزق وكان ما يشعر به يبدو له ... لا اقصد مزيفا تماما ... لانه كان قبل كل شىء ، شعورا مخلصا ، ولكنه كان يبدو كشىء يجد لزاما عليه لحظتها ان يضفى عليه شيئا من القيمة ... حقا اننى لا اعرف ... كان دائما يجعل من كل شىء عملا ذكيا لكى يعوض حرارة الاخلاص التى كان يشعر بنقصها ، ولذلك كان يرتجل ويبالغ ويترك نفسه على سجيتها ... كى يستطيع ان يبعد عقله عن التفكير ... ان ينسى نفسه ... كان يبدو غير متزن ... ابله ... ويمكن ايضا ان نقول انه كان مضحكا فى بعض الاحيان ...

الدكتور : قل لى ... أيمكن ان تقول انه كان انطوائيا ؟

بلكريدى : كلا ... على الاطلاق ... كان رجلا اجتماعيا للغاية ، كما كان مشهورا بحبه لتنظيم اللوحات الحية والرقصات والعروض الخيرية ... وكان يفعل كل ذلك لمجرد انه كان يحب ان يفعله طبعا ... كما كان ممثلا ممتازا ...

دينوللى : لقد صنع الجنون منه ممثلا عظيما ، ممثلا رائعا بالتأكيد ...

بلكريدى : ولكنه كان دائما كذلك ... ولذلك يمكن ان تتخيل انه عندما وقعت المصيبة ... بعد ان سقط من فوق جواده ...

الدكتور : اصيب فى مؤخرة رأسه ، أليس كذلك ؟

دونا ماتيلدا : اوه ... كان ذلك مريعا ، كان يركب إلى جوارى ورأيته تحت حوافر الجواد ... كان الجواد يرجع إلى الوراء ...

بلكريدى : وفى البداية لم نكن نعتقد ان الامر خطير ... بالطبع توقف الموكب لبضع لحظات .. كما سادت الفوضى لفترة ... كان الناس

يريدون معرفة ما حدث ... ولكنهم كانوا قد نقلوه إلى الفيلا ...

دونا ماتيلدا : لم يكن هناك اثر لجرح ، لا شيء على الاطلاق ... لم تكن هناك حتى نقطة دم واحدة

بلكريدى : واعتقدنا جميعا انه قد أغمى عليه فقط ...

دونا ماتيلدا : وعندما ... بعد حوالى ساعتين ...

بلكريدى : اجل ... ظهر فى حجرة استقبال الفيلا ... هذا ما كنت أعنيه حين ...

دونا ماتيلدا : وجهه ... ياإلهى عرفت ما حدث فى ومضة ..

بلكريدى : كلا ... كلا ... ليس هذا صحيحا ... لم يدرك احد شيئا على الاطلاق ... صدقنى يادكتور ...

دونا ماتيلدا : كلا ... لانكم لم تكونوا فى حالة تسمح لكم ان تدركوا شيئا ... كنتم تتصرفون كجماعة من المجانين ...

بلكريدى : كان كل واحد يحاول ان يخدع الجميع ، وان يتظاهر بأنه هو الشخصية التى كان يرتدى ملابسها ... كانت العملية كلها فوضى مطلقة .

دونا ماتيلدا : تستطيع ان تتخيل يا دكتور الرعب الذى سيطر علينا عندما ادركنا جميعا انه ، دون الآخرين ، كان يمثل دوره بمنتهى الجدية ...

الدكتور : أوتعنين انه هو الآخر بدأ ساعتها ...

بلكريدى : نعم ... لقد وقف فجأة وسطنا ... واعتقدنا انه قد شفى ، وانه كان يخدعنا مثل الباقين .. ولكنه كان يمثل بطريقة ابرع ، لانه ، كما قلت لك ، كان ممثلا ممتازا ... واعتقدنا انه كان يخدعنا

دونا ماتيلدا : بدءوا يضربونه ...

بلكريدى : وعندئذ ، وبما انه كان ملكا ، فقد كان مسلحا بالطبع ... استل سيفه واندفع نحو اثنين أو ثلاثة منا ... كانت لحظة رهيبة لكل منا ...

دونا ماتيلدا : لن انسى هذا المنظر مطلقا ... وجوهنا المقنعة وقد زادها الرعب بشاعة ... تحدق فى القناع المخيف على وجهه ... ولكن القناع لم يعد قناعا ... كان وجه الجنون بعينه

بلكريدى : كان قد اصبح هنرى الرابع ... هو هنرى الرابع بشخصه ... فى لحظة غضب

دونا ماتيلدا : لقد تملكه الدور بالطبع ... فقد كان يتمرن عليه طيلة الشهر السابق واكثر ... وفى رأيى ان عقله قد تأثر بذلك التمرين ... ولكن كانت هذه دائما طبيعته ، كان كل ما يفعله يتملكه .

بلكريدى : لقد بذل جهدا لا حد له فى التمرين ... وقد اولى الاستعداد كل عنايته ... لقد تأكد ان كل شىء - حتى ادق التفاصيل - قد بلغ الكمال

الدكتور : ان كل شىء يبدو واضحا بسيطا امام عينى ... عندما سقط من فوق ظهر جواده ، وأصيب رأسه ... تجمد عندما كانَ من قبل مجرد فكرة تتملكه لفترة مؤقتة ... وادت إصابة مخه إلى تجمده إلى الابد فى الدور الذى كان يلعبه حين حدث ذلك ... وعندما يسقط بعض الناس سقطة كهذه ، فبعضهم يصاب بالبله ، والبعض الآخر يصاب بالجنون .

بلكريدى : (**لفريدا ودينوللى**) ارايتم النكت التى توقعنا فيها الحياة ياأعزائى (**لدينوللى**) كان عمرك خمس سنوات او ستا حينئذ (**لفريدا**) وانت ... تعتقد والدتك انك قد حللت محلها فى هذه الصورة ، ومع ذلك ، فعندما رسمت الصورة ، لم يكن لديها ادنى فكرة عن انجابك ... اما انا فقد زحف الشيب إلى رأسى وهو ...انظرى إليه (**يشير إلى الصورة**) ابدا ... ها هو ذا (**مشيرا إلى الصورة**) هنرى الرابع إلى الابد ...

الدكتور : (**غارقا فى افكاره اثناء هذا الحديث ، يتأمل ما سمعه ... يبسط ذراعيه كأنما يريد ان يركز انتباه الآخرين ، ثم يعد نفسه لإلقاء تفسيره العلمى**) والآن سيداتى سادتى ، نستطيع ان نستنتج من هذا ان ...

(فجأة يفتح الباب الاول إلى اليمين « الاقرب إلى الكشافات الارضية » ويدخل برتولد وقد تقلص وجهه من الغضب)

برتولد : (**يندفع إلى الداخل وقد نفد صبره**) أيمكننى الدخول ؟ انا آسف ولكنى ...

(يتوقف مع ذلك عندما يلاحظ الاضطراب وعدم الارتياح الذى سببه دخوله للآخرين)

فريدا : **(تصرخ فى رعب بينما تبحث عن مكان تختبىء فيه)** او يا إلهى ... ها هو

دونا ماتيلدا : **(تتراجع فى جزع وتغطى وجهها بيديها حتى لا تراه)** اهذا هو ؟ اهذا هو ؟

دينوللى : (على الفور) كلا ... كلا ... بالطبع لا ... اهدءوا

الدكتور : (فى دهشة) من هو اذن ؟

بلكريدى : لاجىء تمكن من الهرب من تمثيليتنا

دينوللى : انه احد الشبان الذين نستخدمهم كى نحفظ له وهمه ...

برتولد : عفوا يا سيدى ...

دينوللى : سحقا للعفو ... كانت اوامرى ان تظل الابواب مغلقة ... وألا يدخل احد هنا

برتولد : اجل ياسيدى ... أعلم ذلك ، ولكنى لا استطيع ان اتحمل اكثر من ذلك ... لقد جئت اطلب منك ان تتركنى ارحل فى الحال ...

دينوللى : آه ... لابد انك المستجد الذى كان عليه ان يبدأ العمل هذا الصباح ...

برتولد : اجل ياسيدى ولكنى لا استطيع ان اتحمل اكثر من ذلك

دونا ماتيلدا : **(بانفعال شديد لدينوللى .... يبدو الرعب فى عينيها)** هو اذن ليس بالهدوء الذى وصفته

برتولد : **(على الفور)** كلا يا سيدتى .... ليس هو السبب بل الثلاثة الآخرون ... زملائى الذين اعمل معهم .... لقد اخبرتنى ان وظيفتى هى ان اساعده ياسيدى الماركيز ... سحقا للمساعدة ... ان هؤلاء الثلاثة لا يساعدون احدا ... انهم انفسهم مجانين ... لقد دخلت هنا ... لم اكن قد رأيت هذا المكان فى حياتى من قبل ... وبدلا من ان يساعدونى يا سيدى الماركيز ... **(يدخل لاندولف وهارولد فى انفعال شديد بسرعة من باب اليمين ... يتوقفان عند عتبة الباب قبل ان يدخلا)**

اصدر امره ان يعتقل ، وينوى ان يحاكمه مباشرة من فوق كرسى العرش ... فماذا نفعل ؟

دينوللى : أغلقوا الباب ... أغلقوا الباب بسرعة ... اذهب وأغلق ذلك الباب

هارولد : لن يكون باستطاعة اوردولف بمفرده ان يبقيه بالداخل

لاندولف : خطرت لى فكرة يا سيدى ... ماذا لو اعلنا زيارتكم له ... سوف يساعده ذلك على نسيان الموضوع كله ... اذا كنتم سيداتى وسادتى قد فكرتم فيما تكونون ... اعنى اى ملابس سوف ترتدون ...

دينوللى : اجل ... اجل ... لقد اعددنا كل شىء (**للدكتور**) اذا كنت تعتقد يادكتور انه من المستحسن ان تراه فورا ....

فريدا : انا لا اريد ان اراه ... لا اريد ان اراه ، سوف اذهب إلى الحجرة الاخرى يا شارل وانت يا مامى ... ارجوك يا مامى تعالى انت ايضا ... تعالى معى ... من فضلك

الدكتور : هناك شىء واحد ... انه ليس مسلحا إلى الآن بأى شكل ؟

دينوللى : مسلح يا دكتور ؟ كلا ... بالطبع لا ... طبعا لا ... (**ثم لفريدا**) فريدا ... انه تفكير صبيانى ان تخافى ... ، لقد اردت ان تحضرى ..

فريدا : كلا ... لم ارد ... كانت فكرة مامى

دونا ماتيلدا : (**بحزم**) وانا على اتم الاستعداد لرؤيته ... والآن ماذا يجب ان نفعل ؟

بلكريدى : آسف اذا كان سؤالى خاطئا ... ولكن أمن الضرورى حقا ان نتنكر فى زى معين ... ؟

لاندولف : اجل يا سيدى ... من الضرورى جدا .. فى غاية الاهمية ... اجل ، لسوء الحظ ... وكما ترى (**يريه رداءه**) ... سوف يزعجه جدا ان يرى سيداتى وسادتى كما هم الان ... يرتدون الملابس العصرية

هارولد : سوف يعتقد ان ذلك قناع شيطانى !

دينوللى : انهم كما يبدون لك فى ثياب غريبة ... كذلك نحن بالضبط ،

لاندولف : ايمكن ان ندخل ؟

هارولد : ايمكن ان ندخل يا سيدى ؟

دينوللى : ادخلا ... ولكن ما هذا بحق الشيطان ؟ ماذا تفعلون جميعا ؟

فريدا : ياإلهى كم انا خائفة ... سوف اهرب ... سوف اهرب (**تتجه نحو باب اليسار**)

دينوللى : (**يوقفها فورا**) كلا يا عزيزتى ... يجب ألا تذهبى

لاندولف : ان هذا الابله يا سيدى (**يشير إلى برتولد**)

برتولد : (**محتجا**) كلا ... اشكركم شكرا جزيلا يا أصدقائى الاعزاء ... لن ابقى هنا ... لا احب ان يكون لى اى علاقة بهذا الجنون ... انا ذاهب

لاندولف : ماذا تعنى لن تبقى هنا ؟

هارولد : لقد افسد كل شىء يا سيدى بدخوله المفاجىء هنا

لاندولف : لقد اثار ثائرته ... ولن نستطيع ان نبقيه كثيرا بالداخل ... لقد بملابسنا التى نرتديها الآن ، سوف نبدو له فى ثياب غريبة

لاندولف : ربما لم يكن الامر بهذه الخطورة يا سيدى ، لولم يكن من المؤكد انه سيتصور ان هذه مؤامرة دبرها عدوه اللدود ...

بلكريدى : البابا جريجورى السابع ..؟

لاندولف : بالضبط ... يقول انه وثنى ...

بلكريدى : البابا وثنى ... لا بأس بهذه ...

لاندولف : نعم يا سيدى ... ويقول ايضا انه يبعث الموتى ... انه يتهمه بكل هذه الفنون الشيطانية ... ولذلك فهو يعيش فى رعب مقيم منه

الدكتور : عقدة اضطهاد ..

هارولد : سوف يجن من الغضب

دينوللى : (**لبلكريدى**) اتعرف ... لا داعى لان تكون حاضرا .. سوف ننتظر بالداخل وسوف يعطى ذلك الوقت الكافى للدكتور كى يراه ...

الدكتور : على انفراد ... اهذا ما تقصد ؟

دينوللى : ولكنهم سوف يكونون معك (**يشير إلى الشبان الثلاثة**)

الدكتور : لا ... لا ... لم يكن هذا ما قصدته ... أعتقد انه اذا كانت الماركيزة ...

دونا ماتيلدا : طبعا ... اننى انوى البقاء بالتأكيد .. اجل سوف أكون حاضرة .. اريد أن اراه مرة أخرى

فريدا : لكن .... مامى ؟ من فضلك ... أرجوك أن تنتظرى معنا بالداخل ...

دونا ماتيلدا : (فى لهجة آمرة) دعينى وشأنى .. لقد جئت من اجل هذا (تخاطب لاندولف) سوف أكون آدليادى ... أمها

لاندولف : أمها .. أجل ... فكرة ممتازة ... أم الامبراطورة برثا ... رائع ... فى هذه الحالة ليس عليك إلا أن تلبسى تاجا ورداء فضفاضا يغطى كل ملابسك الاخرى تماما (لهارولد) هيا يا هارولد هيا

هارولد : انتظر لحظة .. وماذا عن السيد ؟ (يشير ناحية الدكتور)

الدكتور : أجل .. احم ... اعتقد اننا قلنا .. الاسقف هيو دى كلونى ...

هارولد : ان السيد يقصد المطران ... أليس كذلك ؟ معقول جدا .. هيو دى كلونى .

لاندولف : وقد جاء إلى هنا كثيرا

الدكتور : (فى دهشة تامة) ماذا ؟ جاء إلى هنا قبل الآن ؟

لاندولف : لاتنزعج ... أقصد انه ... بما ان هذه طريقة سهلة للتنكر..

هارولد : فقد استخدمناها فى مناسبات كثيرة ..

الدكتور : ولكن ...

لاندولف : ليس هناك اى احتمال ان يتذكر ؛ فهو لا يلحظ الأشخاص بقدر ما يلحظ ما يرتدونه

دونا ماتيلدا : هذا من حظى اذن ...

دينوللى : سوف نذهب يا فريدا .. تعال معنا يا تيتو .. تعال

بلكريدى : أوه ... كلا ... اذا كانت ستبقى ، فسوف ابقى انا الآخر (يشير إلى الماركيزة)

دونا ماتيلدا : ولكنى لا احتاج إلى صحبتك على الإطلاق

بلكريدى : لم اقل انك تحتاجين ، ولكن يتصادف اننى ايضا اريد أن أراه

مرة اخرى .. أليس لى ان افعل ذلك ؟

لاندولف : أجل ربما يكون من الاحسن ان تكونوا ثلاثة ...

هارولد : ماذا نفعل اذن من أجل السيد ... ؟

بلكريدى : راع أن تجد لى انا الآخر وسيلة سهلة للتنكر .

بلكريدى : (**لهارولد**) اجل .. وجدتها ، يمكن أن يكون كلونيا

بلكريدى : كلونيا ؟ وماذا يكون ذلك ؟

لاندولف : راهب ... سوف ترتدى مسوح راهب بندكتى من دير كلـونى وسوف تكون فى حاشية صاحب الغبطة (**لهارولد**) هيا .. هيا (**لبـرتولـد**) وانت ايضا .. ولا تظهـر نفسك اليـوم (**ولكن ما أن يبدءوا فى الخروج**) انتظرا لحظـة (**لبرتـولد**) سـوف يعطيك الملابس وعليك احضارها هنا (**لهارولد**) اذهب انت حالا واعلن زيارة الدوقة آدوليادى والمونسينيور هيـو دى كلونى .. فاهم ؟

(يخرج هارولد وبرتولد من الباب الأول إلى اليمين)

دينوللى : سنترككم الآن (**يخرج مع فريدا من الباب الايسر**)

الدكتور : (**للاندولف**) هل أكون شخصا مرغوبا فيه حين ألعب دور هيو دى كلونى .. اعتقد اننى سأكون

لاندولف : أجل .. جداً .. لا تقلق من هذه الناحية ... كان المـونسينيور يستقبل هنا بكل احترام ... وأنت ايضا يا سيدتى الماركيزة .. سـوف يسره جـدا أن يراك ، فهـو لا ينسى ابدا أنـه بفضـل وساطتك ، أنت والمونسينيور ، انه بعد أن قضى يومين ينتظـر تحت الجليد ، وعندما كاد يتجمد من البرد ، فقد سمح له بدخول قلعة كانوسا ، وبمقابلة البابا جريجورى السابع الذى كان يأبى عليه تلك المقابلة ...

بلكريدى : وماذا عنى أنا ؟

لاندولف : سوف تقف باحترام فى أحد الجوانب

دونا ماتيلدا : (**وقد بدأ صبرها ينفد ، تقول بغضب**) سـوف يكون من الافضل ألا تحضر على لإطلاق

بلكريدى : (**بصوت خفيض ... فى غل**) مـا هذا الغضب المروع الذى يعتمل فى داخلك ؟

دونا ماتيلدا : (**بكبرياء**) أنا ما آنا ... اتركنى وشأنى

(**يعود برتولد ، حاملا الملابس**)

لاندولف : (**يلمحه داخلا**) آه ، ها هى الملابس ... هذا لك يـا سيدتى الماركيزة (**يعطيها الرداء**)

دونا ماتيلدا : لحظـة من فضلك ... اريـد ان اخلع قبعتى (**تخلـع القبعة وتعطيها لبرتولد**)

لاندولف : لا تنس أن تأخذ هذه معك عنـدما تـذهب (**للماركيـزة وهو يعيطها التاج**) هل اساعدك على وضع هذا .... ؟

دونا ماتيلدا : يا حفيظ ، أليست هناك أية مرايا هنا ؟

لاندولف : هناك مرايا كثيرة فى الحجرة الأخرى (**يشير إلى الباب الايسر**) اذا كانت سيدتى الماركيزة تحب ان ... تضع التاج بنفسها ...

دونا ماتيلدا : أجل ... أجل ... أفضل ذلك ... اعطنى اياه ... سوف اذهب وأضعـه ... لن أتأخـر لحظة (**تستـرد قبعتها وتخـرج مع برتولد الذى يحمل الرداء والتاج .. فى نفس الوقت يحاول الـدكتور وبلكـريدى قـدر طاقتيهمـا ان يرتـديـا مسـوح الرهبان ..**)

بلكريدى : أعترف أنه لم يخطر ببالى مطلقا أن يصل بى الحال ان أكون راهبا بندكتيا ... ان هذا الجنون لابد ان يكلف مالا كثيرا ..

الدكتور : ليس هذا هو النوع الوحيد من الجنون الذى يكلف ...

بلكريدى : بالطبع ... عندما تكون لديك ثروة كبيرة تستطيع ان تنفق منها حين تحتفظ بوهمك قائما

لاندولف : لدينا فى الحجرة الأخرى دولاب كامل نحتفظ فيه بمختلف ازياء ذلك العصر ، وهى ازياء مصنوعة بغاية الدقة حتى تطابق الأزياء الاصلية ، ووظيفتى على وجه الخصوص ، ان اراعى مثل هذه الأشياء ، واحصل عليهـا من افضل مصممى ازيـاء المسارح وهذا يكلف مالا كثيرا .

(**تدخل دونا ماتيلدا مرة اخرى وقد ارتدت الرداء والقبعة**)

بلكريدى : **(حالما يراها تدخل ، بإعجاب)** رائعة ... انك تشبهين الملكات فى كل شىء يا عزيزتى .

دونا ماتيلدا : **(تلمح بلكريدى وتنفجر فى الضحك)** يا حفيظ لا .. لا .. اخلع هذا ، ... مستحيل ... انك تشبه نعامة فى مسرح راهب ...

بلكريدى : اذا كنت تعتقدين ان شكلى مضحك ... فماذا تقولين لو دققت النظر فى الدكتور ..

الدكتور . : لا اعتقد ان منظرى قبيح ... ام هو كذلك ؟ دعنى ! ...

دونا ماتيلدا : لا بالطبع ليس كذلك ... فمنظرك لطيف يا دكتور .. اما انت فاننى لا أجد كلاما اصف به شكلك المضحك ...

الدكتور : **(للاندولف)** هل لى أن أستنتج اذن انكم كثيرا ما تنظمون مثل هذه المقابلات ... ؟

لاندولف : ذلك يتوقف على .. كثيرا ما يستدعى بعض الاشخاص .. او يطلب رؤية الامير فلان ... أو الأسقف علان .. وتكون مهمتنا فى هذه الحالة ان نجد شخصا يؤدى الدور .. ثم هناك النساء ..

دونا ماتيلدا : **(يجرحها هذا الكلام ولكنها تحاول ان تخفى ذلك)** أوه ... ونساء ايضا ؟

لاندولف : نعم ... فى بداية الامر ... مئات منهن ...

بلكريدى : **(ضاحكا)** اوه ... يا لها من فكرة رائعة ! فى زى مخصوص .. **(يشير إلى الماركيزة)** مثل الماركيزة ... ؟

لاندوف : أوه يا سيدى .. انت تعرف .. نساء من النوع الـ ..

بلكريدى : يمددن يدى المساعدة .. يستسلمن .. اعرف ولكن .. **(بخبث للماركيزة)** خذى حذرك يا عزيزتى .. حذار أن تندفعى إلى الخطر برجليك ..

(يفتح الباب الثانى إلى اليمين ويدخل هارولد ويشير إلى من فى الحجرة محذرا حتى يتوقفوا عن الحديث . ثم يعلن بوقار)

هارولد : جلالة الامبراطور

(يدخل التابعان أولا ثم يأخذان مركزيهما عند العرش ...

ثم يدخل هنرى الرابع يتبعه أوردولف وهارولد باحترام ..
هنرى الرابع فى حوالى الخمسين ... شاحب اللون ، وشعر
مؤخرة رأسه موخط بالشيب ، أما شعر فوديه ومقدمة
رأسه فأصفر ـ نتيجة لصباغة واضحة تكاد تكون بدائية .
بقع اللون الأحمر مثل تلك التى تلون بها وجوه الدمى
البدائية تصطرع فى شدة مع شحوبه الحزين ... يرتدى
فوق ردائه الامبراطورى رداء من « الخيش » علامة على
الندم ، مثل تلك التى كان الامبراطور يرتديها فى كانوسا ...
فى عينيه نظرة ثابتة قلقة مرعبة ، تتباين تباينا شديدا مع
شكله العام .. من الواضح انه يريد أن يبدو نادما ذليلا ،
وكلما شعر أن إذلاله لنفسه بهذه الطريقة لا يلقى الجزاء
الكافى حاول قدر جهده أن يزيد منظره ذلة ، اوردولف يحمل
التاج الامبراطورى بكلتا يديه ، هارولد يحمل صولجانا
ينتهى عند المقبض براس نسر وكرة وصليب) .

هنرى الرابع: (ينحنى اولا لدونا ماتيلدا ثم للدكتور) سيدتى ...
يا صاحب الغبطة (ثم ينظر ناحية بلكريدى ، ويهم
بالانحناء له ، ولكنه يستدير ناحية لاندولف الذى يكون قد
اقترب منه ويساله بصوت خفيض ملىء بعدم الثقة) هل هذا
بيتر داميانى ؟ .

لاندولف : كلا يا صاحب الجلالة ، انه راهب من كلونى .. جاء فى صحبة
صاحب الغبطة .

هنرى الرابع: (ينظر مرة أخرى تجاه بلكريدى ، وقد تزايد لديه الشعور
بعدم الثقة ، وعندما يلاحظ أنه يبدو محرجا قلقا وأنه
يختلس النظر إلى دونا ماتيلدا والدكتور ، كما لو كان يطلب
منهما النصح ، ينتصب واقفا وهو يصيح) انه بيتر
داميانى .. لا فائدة أيها الأب من الاستنجاد بالدوقة (ثم
يتلفت فجاة ناحية دونا ماتيلدا كما لو كان يتجنب خطرا
ما) اقسم أن قلبى قد تغير من ناحيتك .. أقسم على ذلك ،
وأعترف انه (يشير إلى بلكريدى) لو لم يجىء باسم البابا

الكسندر توماس ويمنعنى . لكنت قد نبذتها ، أجل ... أجل ... كان كثير من الناس يؤيدوننى فى نبذها ، خذى مثلا أسقف مينز ، كان على استعداد أن يفعل ذلك من أجل مائة وعشرين ضنيعة حقيرة (**فى شيء من السخط يُلقى نظرة جانبية إلى لاندولف ثم يضيف**) ولكن ليست هذه باللحظة المناسبة لذكر الأساقفة بالسوء (**يلتفت مرة أخرى إلى بلكريدى ويقول فى خضوع**) إننى ممنون لك ... صدقنى أنا ممنون لك يا بيتر داميانى لمنعى من أن أفعل ما نويت فعله .. لقد كانت حياتى سلسلة واحدة متصلة .. من الذل .. أمى ... آدلبرت .. تريبو ... جوسلار والآن هذه الثياب الخشنة التى أرتديها (**فجأة ، وبطريقة لا يتوقعها أحد ، تتغير لهجة صوته ويتكلم كما لو كان ، فى نوبة من الدهاء ، يحاول أن ينهى دوره بسرعة**) هذا لا يهم ... وضوح الأفكار ... بعد النظر ... الجلد والصبر عند الشدة ... هذا ما يهم (**ثم يتحول إليهم ويقول فى لهجة ندم حادة**) اننى أعرف كيف أكفر عما ارتكبت من آثام ... كما أننى أستطيع . حتى فى حضرتك يا بيتر داميانى ، أن أذل نفسى (**ينحنى له بإجلال ، ويظل جسده منحينا للحظة كما لو كانت بعض الشكوك القديمة تثبته فى مكانه وتدفعه إلى أن يقول رغم إرادته ، وفى لهجة تحد**) ألم تكن أنت من أطلق تلك الشائعة البذيئة أن أمى المقدسة أجنيس كانت على علاقة غير شرعية مع الاسقف هنرى الاوغسطس .

بلكريدى : (**يعقد يديه على صدره وينفى التهمة**) كلا .. كلا .. لم أكن أنا من .... (**بينما يتلعثم بلكريدى فى اجابته ، يكون هنرى الرابع مازال منحنيا أمامه وهو يشير بأصبعه مهددا** ... (**فجاة ينتصب واقفا**) .

هنرى الرابع: اذن فليس صحيحا ؟ لم تفعل ... يا للعار . (**ينظر إليه فى وجهه مباشرة للحظة ثم يقول**) لم أكن أعلم أنك قادر على فعل شيء كهذا (**يذهب إلى حيث يقف الدكتور ويشده من كمه ، ثم يغمز فى خبث ويقول**) إنهم هم الذين يطلقون تلك الشائعات

دائما ... دائما الآخرون يا صاحب القداسة ...

هارولد : **(جانبا ، يتنهد كما لو كان يلقن الدكتور)** آه .... أجل ... الأساقفة الخطافون .

الدكتور : **(يتحـول إلى هارولـد ويحاول جهـده أن يستمـر)** آه ... أجل ... الآخرون ... هم ... آه ... أجل ..

هنرى الرابع: لم يكـونوا يقنعون عـلى الاطـلاق ... كنت طفـلا صغيـرا يا صاحب القـداسة ... طفـلا صغيرا تعسـا ... ولكن الوقت يمر ... لعب و ... ،! وحتى عندما لا تحس ذلك فأنت ملك . كنت فى السادسة عندما انتزعونى من جوار أمى واستخدمونى ضدها دون أن أدرى من الأمر شيئا .؟..ولقد بلغ بهم الأمر لمهاجمـة الأسرة المالكة نفسها لوثوا بأيديهم النجسة كل شىء ... دائما يسرقون ... أبدا يسرقون كل منهم أكثر طمعا من الآخر . هانو أسوأ من ستيفن وستيفن أسوأ من هانو .

لاندولف : **(بصوت خفيض محاولا استمالته وتذكيره بـالمكان وبمـا يقوله)** يا صاحب الجلالة ..

هنرى الرابع: (يلتفت مباشرة) أجل .... أنت على حق .... ليس هذا وقت الحديث بالسوء عن الأساقفة ... ولكن هذا التشنيع الدنىء على أمى يا صاحب القداسة لا يمكن اغتفاره **(ينظر إلى الماركيزة ويرق صوته)** حتى البكاء عليها لا أستطيعه يا سيدتى . اننى أهيب بك ... فلا بد أنك تعرفين قلب الأم وعواطف الأم ... لقد جاءت إلى هنا من ديرها منذ حوالى شهـر ... والآن ... والآن يقولون إنها ماتت **(وقفة طويلة مشحونة بالعـواطف ، ثم يبتسم فى حزن ويقول)** لا أستطيع البكاء عليها لأنه ... إذا كنت أنت هنا الآن ... وأنا فى هذه الملابس **(يشير إلى الرداء الخشن الذى يرتديه)** فهذا يعنى أننى فى السادسة والعشرين من عمرى .

هارولد **(بصوت خفيض ، كما لـو كان يسـرى عنه)** وإنهـا إذن ، مازالت حية ، يا صاحب الجلالة .

أوردولف : **(بنفس النغمة فى صوته)** ومازالت فى ديرها .

هنرى الرابع: **(يلتفت ناحيتها)** نعم ، بالطبع ، مازالت هناك وأستطيع إذن أن أؤجل حزنى لوقت آخر **(وعندئذ يرى الماركيزة ، بلهجة أقرب ما تكون إلى الدلال ، المواضع التى صبغها من شعره)** انظرى ، مازال شعـرى أشقر **(ثم يـخفض من صـوته كمن يفضى بسر)** لقد فعلت ذلك من أجلك ، فلا حاجة لى أن أفعله من أجل نفسى ومن المفيد أن تكون لنا هذه العلامات والدلائل المرئية الخارجية ... لفظات من لغة الزمان ، إذا كنت تعرف ما أقصد يا صاحب الغبطة **(يذهب مرة أخرى ناحية الماركيزة وعندما يلاحظ لون شعرها يقول)** آه ... إننى أرى أنك ... أيضا .... يا فخامة الدوقة **(يغمز بعينيه غمزة طفيفة ويعطى إشارة معبرة بيده)** على الطريقة الايطالية كما أرى ... **(كما لو كان يريد أن يقول « شعر عيرة » ولكن دون أن يظهر أدنى علامة على الاحتقار بالعكس ، ثم نغمة من الإعجـاب الحاسـد فى صوته)** حاشا لله أن أظهر احتقارا أو دهشة ... أوه ... كم من الأفكار الخيالية تداعب عقولنا ، ولا أحد يريد أن يدرك القوة الغامضة ، قوة القدر التى تقيد إرادتنا ، ولكنى أقول ، أقل لكم إن الإنسان ليموت . ولادة ... هل أردت أن تولـد يا صـاحب الغبطة ؟ أنا لم أكن أريد ... وبين ولادتنا وبين خروجنا من هذا العالم ـ وفى كلتا الحالتين تظل إرادتنا عاجزة ... فـإن أشياء كثيرة تحدث لنا وينبغى أن نسلم بها بقلوبنا الضنينة .... ولكننا ندعو الله ألا تصيبنا .

الدكتور : **(يشعر أن عليه أن يقول شيئا بينما يدرسـه بتمحيص)** آه ... نعم ! لسوء الحظ ...

هنرى الرابع: الامـر هكذا ... عنـدما لا نستسلم ، تظهـر جميـع رغبـاتنـا الخيالية ... تريد المرأة أن تصبح رجلا ، ويريد الرجل العجوز أن يرتد شابا .. وكلنا نأخذ الامر بمنتهى الجدية ، فـلا أحد يكذب أو يدعى شيئا لنفسه ... وليس هناك ما نستطيع قوله ...

فإننا كلنا ، ودون استثناء ، مقيدون ــ بكل حسن نية ــ بفكرتنا الرائعة عن انفسنا ، ومع ذلك ، يا صاحب الغبطة .. بينما تقف هنا بهذا الحزم وهذه الصلابة وقد امسكت كلتا يداك بمسوحك المقدسة ، فان شيئا ما ينزلق من كمك ... ها هـو .. ينزلق ... ينزلق مثل الحية ، ... شيئا لا تلحظـه ... الحياة يـا صاحب الغبطة ... وهناك مفاجآت كثيـرة فى انتظارك ... عنـدما يقـع بصرك عليها فجأة ... هناك ... جالسة امامك بعد ان تتمكن من الهـرب ... ولها اشكـال كثيـرة ... الاحتقـار والغضب منـك نفسك ... والندم ... أجل ... الندم أيضا ... آه لو تعرف كم من المرات ومض وجه الندم أمام عينى ... كان وجهى انا ولكنه وجه متقلص رهيب ... شىء لم استطع ان اتعرف عليه (**يتجه مرة أخرى الى الماركيزة**) ألم يحدث لك شىء من هذا القبيـل مرة يـا سيدتى ؟ ... هـل حقيقة تـذكرين نفسـك كشخص واحد دائمـا ؟ ألم يجىء ذلك اليـوم الذى ... ؟ أواه يـارب .. كيف أمكنك ؟ ... كيف أمكنك أن تفعلى ما فعلت ؟ (**ينظر بتركيـز وإصرار فى عينيها حتى تكـاد الدمـاء تختفى من وجهها**) نعم .. بالضبط ... ارى أنك تعرفين ماذا أعنى .. ما فعلت ذلك اليوم ... أوه لا تجزعى ... لن أخبر أحدا عما جرى ... وأنت يا بيتر داميانى .. كيف تصبح صديق ذلك الرجل ... ؟

لاندولف : (**بنفس لهجة الاستمالة**) يا صاحب الجلالة !

هنرى الرابع: (**على الفور**) كلا .. كلا .. لن اقول اسمه .. فانا اعلم ان ذلك سوف يسيئه ! (**يستـدير بسـرعة شـديدة مفـاجئة نحـو بلكريدى**) ماذا كان رأيك فيه ؟ خبرنى .. ماذا كان رأيك فيه ؟ ولكن بغض النظر عن آراء الناس ، فان كلا منا يتمسك بشدة بفكـرته عن نفسـه .. تمامـا مثل من يتقـدم فى السن فيصبغ شعره ... ماذا يهم لو ان هذه الصبغة التى استخدمها لا تنجح اطـلاقـا فى خـداعكم عن لـون شعـرى الطبيعى ؟ ... وانت يا سيدتى بالتأكيد لا تصبغين شعرك لخداع الآخرين أو حتى نفسك .. ولكن لكى .. فقط لكى تزيفى صورتك فى المرآة قليلا ..

اوه قليلا جدا .. اما انا فـأفعل ذلـك لمجرد النكتـة ، اما انت فبمنتهى الجدية ... ولكن أؤكد لك يا سيدتى انه رغم كل حديثك فأنت ايضا ترتدين قناعا .. أوه ... أنا لا اتحدث عن ذلك التاج الـذى ترتـدينه ... والـذى أنحنى امامـه .. أو هـذا الـرداء الدوقى ... انا اتحدث عن تلك الذكرى التى تودين ، بطريقـة مصطنعة أن تحتفظى بها .. ذكرى بشرتك البيضاء كما رأيتها يوما ما ، والتى اعتقدت حينئذ أنها حلـوة جدا .. أو بشـرتك السمراء ... لو كنت سمراء ... الصورة الـذابلة لشبـابك ... وانت يا بيتر داميانى .. ان ذكرى ما كنت وما فعلت تبدو الآن مثل ادراك الأمر هكذا .. أليس كذلك ؟ وهكذا الامر بالنسبة لى ايضـا .. كل شىء لا يعـدو ان يكون حلمـا .. ما أكثـرها من حقائق ... عندما ترجع بفكرك الى الوراء ... كثيرة ومستحيلة التفسير ... أوه حقا ... ليس هذا مما يثير الدهشة بدرجة كبيرة يا بيتر داميانى .. ان حياة اليوم هى حلم الغد (**فجأة يستبد به الغضب . يمسك بثيابه الخشنة وبعنف وهو يصيح)** وهذه الثياب الخشنة (**بفرح وحشى ، يبدو كما لو كان يحاول ان يمزقها . هارولد واوردولف .. وقـد اصابهمـا الذعـر ، يندفعان نحوه فى الحال ، كما لو كـانا يـريدان منعـه من تمـزيقها)** أوه يـا رب (**يتراجـع ويبدأ فى تمـزيق الثياب الخشنة صائحا فيهم)** غدا ... فى بريسانونى ، سيوقع معى سبعـة وعشرون اسقفـا المانيـا ولومبـارديا قـرار عزل البـابا جريجورى السابع فليس بابا حقيقيا .. وانما هو راهب مزيف **(يحاول هارولد واوردولف ولاندولف تهدئته)**

أوردولف : يا صاحب الجلالة ... يا صاحب الجلالة ... باسم الله ..

هارولد : **(يحاول ان يغريه بارتداء الثياب الخشنـة مرة اخـرى)** حاذر فى كلامك يا صاحب الجلالة (**يمسك الثياب الخشنة)**

لاندولف : ان صاحب الغبطة وفخامة الدوقة ، انمـا جاءا الى هنـا لكى يتوسطا فى صالح صاحب الجلالة (**يشير ، دون ان يراه هنرى**

الرابع ، إلى الدكتور مستعجلا اياه ان يقول شيئا بسرعة)

الدكتور : (**فى جزع**) نعم .. اه ... هذا ... لقد جئنا كى نتوسط ..

هنرى الرابع: (**يبدو نادما ومذعورا فى الحال .. يسمح للشبان الثلاثة بان يلبسوه الثياب الخشنة ويمسك بها بيدين مرتعشتين مرتجفتين قائلا**) استميحكم العفو ... نعم .. نعم .. استميحك العفو يا صاحب الغبطة ... وانت يا سيدتى ... اقسم اننى ... اقسم اننى اشعر بكل ثقل اللعنة والطرد من الكنيسة (**ينحنى للامام ويدفن رأسه بين يديه كما لو كان يتوقع ان شيئا سوف يأتى حقا ويصعقه . يظل على هذا الوضع لحظة ثم يقول للاندولف واوردولف وهارولد بصوت خفيض ، كما لو كان يدلى بسر ، فى لهجة مختلفة ودون أن يغير وقفته**) لا ادرى لماذا ... ولكننى اشعر اننى لا استطيع ان أكون متواضعا امام هذا الرجل (**يشير ناحية بلكريدى خلسة**)

لاندولف : (**بصوت خفيض**) يرجع ذلك يا صاحب الجلالة ، الى انك لا زلت تعتقد ان بيتر داميانى ، بينما هو ليس ذلك الـ ...

هنرى الرابع: (**يختلس النظر إليه فى خوف**) ليس بيتر داميانى ... ؟

هارولد : كلا يا صاحب الجلالة .. ما هو إلا راهب مسكين

هنرى الرابع: (**فى صوت حزين ولكن مع تنهيدة تعبر عن الضيق**) آه ... لا أحد منا يستطيع ان يقدر حقيقة ما يفعله عندما يكون ما يفعله من وحى غريزته ... ربما كنت انت يا سيدتى تستطيعين فهمى أكثر من الآخرين ... لانك امرأة[1] .. انها لحظة مهيبة وحاسمة ، كان يمكننى هذه اللحظة .. بينما اتحدث معكم ، ان اقبل معونة اساقفة لومبارديا وان اخضع البابا بمحاصرته هنا فى هذه القلعة ، عندئذ كان يمكننى ان اسرع الى

---

(١) لما كان من الضرورى الا تبطىء سرعة الحدث ، فيستحسن حذف السطور التالية بين القوسين (   ) فى حالة تقديم المسرحية على المسرح (المؤلف)

روما وان انتخب آحد اعداء البابوية ، وأمـد يد التحـالف الى روبرت جيسكارد ، ويكون البابا جريجورى السابع قد انتهى ... ولكننى اقاوم الإغراء ... وصدقينى ان قلت ان هذا يـدل على حكمتى .. إننى آشعر بروح الزمن .. واستطيع ان اقدر تماما جلالة قدر من يعرف كيف يكون ما يجب ان يكـون بابـا ! ... اتودون ان تسخروا منى الآن وانتم تروننى فى هذه الذلة ، ... لن تكونوا سوى مجموعة من الأغبياء اذا اردتم ذلك ، لأنكم سوف تدلون على مدى فهمكم للحكمة السياسية التى تشير على بارتداء مسوح الندم هذه ... دعونى اقل لكم .. فى الغد ، ربما تنعكس الآية .. وماذا تفعلون حينئذ هل تسخرون من البابا بحال من الاحوال لو رأيتموه سجينا ؟ ... كلا .. سوف نكون قد سوينا الامر فيما بيننا ... انكم تروننى اليوم فى زى النادمـين .. وفى الغد ترونه فى زى المساجين ... ولكن ... ويل لمن لا يعرف كيف يضع قناعه .. سواء كان هذا القناع قناع ملك آو بابا ... ربما كان فيما يفعله فى هذه اللحظـة شىء من القسوة ... آجـل هو كذلك) فكرى يا سيدتى ... ابنتك برثا .. التى آكرر ان عواطفى نحوها قد تغيرت .. (**يستدير فجأة نحو بلكريدى ويصيح فى**

وجـهه كما لو كان قد قال « لا ») أجـل تغيرت .. تغيـرت .. بسبب الحب والعطف الذى اولتنى اياه فى تلك الايام العصيبة (**يتـوقف وقد اخـذ جسمه يـرتجف بسبب هذا الانفجـار الغاضب ، ويحاول قدر جهده ان يضبط نفسه .. نكاد نسمع نشيج الغيظ فى حنجرتـه ، ثم يلتفت مرة اخـرى بمسكنة حلوة حزينة الى الماركيـزة**) لقد جـاءت معى يا سيـدتى .. استطيع ان اراها .. هناك فى الساحة ... اصرت ان تتبعنى إلى هنا مثل الشحاذة وهى تشعر ببرد شديد ... لقد تجمد جسدها من البـرد ... قضت يـومـين فى الـعـراء ... تحت الجليـد المتساقط ... وانت ، أمها ، ألا يحرك ذلك قلبك بالشفقة ؟ الا تشعرين بالحـزن من اجلى .. ألن تشتـركى معه (**يشـير إلى**

الدكتور) وترجوا من البابا ان يسامحنى ؟ أن يسمح لى بالمثول بين يديه .. ؟

دونا ماتيلدا : **(ترتعش وتتكلم بصوت لا يكاد يسمع)** أجل ... بالطبع سوف افعل ... أجل ... حالا

الدكتور : أجل .. سنفعل .. أجل سنفعل ذلك ..

هنرى الرابع : هناك شيء آخر ... شيء آخر **(يدعوهم حوله ويقول بهدوء كمن يفضى بسر خطير)** ولا يكفى ان يسمح لى بالمثول بين يديه ... اتعرفون ... ان باستطاعته ان يفعل اى شيء .. حتى انه يستطيع ان يبعث الموتى **(يخبط على صدره)** وهأنذا .. انظروا إلى وسوف ترون رجلا ليس بأحسن حال من الموتى .. ليس هناك فن من فنون السحر لا يجيده ... يا صاحب الغبطة .. يا سيدتى .. ان عقابى الحقيقى هو هذا .. او ذلك .. انظروا .. **(يشير إلى صورته على الحائط فى وجل)** اننى لا استطيع ان احرر نفسى من سحر هذا الرسم ... اننى نادم الآن وسأظل كذلك ... اقسم على ذلك .. ولسوف اظل هنا حتى يسمح لى بالمثول بين يديه .. ولكن عندما يسحب قراره بطردى من الكنيسة فعليكما .. عليكما ان ترجوا البابا ان يصنع بى هذا المعروف .. الشيء الذى لا أحد غيره يستطيعه .. ان يحررنى من هذه **(يشير إلى الصورة مرة اخرى)** ... وان يدعنى أعيش حياتى ... حياتى البائسة المسكينة .. الحياة التى لا سبيل لى إليها الآن ... لا يستطيع المرء ان يظل فى السادسة والعشرين طول عمره يا سيدتى .. ارجو منك ان تفعلى ذلك .. من أجل ابنتك ايضا .. حتى استطيع ان أحبها كما تستحق ان تحب .. لكننى الآن اشعر بالرضا نحوها .. كما اشعر نحوها بالحنان وذلك لأنها أرتنى عطفا كبيرا ... هذا ما أود ان اطلبه منك يا سيدتى ... ان حياتى بين يديك **(ينحنى)** سيدتى .. صاحب الغبطة **(يتحرك خارجا وينحنى طوال المسافة حتى الباب الذى دخل منه ، ولكنه يلحظ فجاة**

بلكريدى ، الذى كان قـد وقف الى احد الجـوانب حتى يسمع جيدا ، قد بدأ ينظر الى الامام ... يستنتج انه يريد سرقة تاجه الامبراطورى ـ الذى كان قد وضعه على كرسى العرش خلال المشهـد السابق ـ يندفع فى الحـال نحو العرش ، ويلتقط التاج وسط دهشة وجزع جميـع من بـالمسـرح ... يخفى التـاج تحت الثيـاب الخشنـة ، وعندئذ ، وبابتسامة خبيثة على شفتيه وفى عينيه يتحرك مرة اخرى نحو الباب ، وينحنى عدة مرات ، ثم يختفى ، تتأثر الماركيزة بدرجة كبيرة حتى انها تسقط فجـأة فى وضع جالس كما لو كان قد اغمى عليها) ...

ستـــــار

الفصل الثانى

(المنظر حجرة اخرى كبيرة فى الفيلا تجاور غرفة العرش . الاثاث من طراز قديم وخشن . الى يمين المسرح منصة ارتفاعها حوالى ثمانى عشرة بوصة ، يحوط هذه المنصة سور (درابزين) خشبى فيما عدا عند احد الجانبين وفى الامام حيث تؤدى اليه درجتان فى السلم ، المنصة تشبه الاماكن المخصصة للجوقة فى الكنيسة ، على المنصة مائدة وخمسة كراس من طراز العصر ، احدهما على راس المائدة ، واثنان على كل جانب . المدخل الرئيسى فى الخلف . إلى اليسار نافذتان تطلان على الحديقة . إلى اليمين باب يؤدى الى حجرة العرش . الزمن قبل مساء نفس اليوم .

(عندما ترتفع الستار ، نجد دونا ماتيلدا والدكتور وتيتو بلكريدى على المسرح فى منتصف مناقشة . دونا ماتيلدا تقف على مبعدة من الآخرين ، يبدو عليها التجهم ، كما يبدو من الواضح انها متضايقة مما يقوله الدكتور وبلكريدى ، ومع ذلك ، فهى لا تملك الا ان تصغى لما يقولانه ، لانها ، فى قلقها الحالى ، تهتم رغما عنها باى شىء ورغم ان ذلك يمنعها من رسم خطة اقوى منها ، خطة طرات لها فجأة وما زالت تراودها بإلحاح . حديث الآخرين يجتذب انتباهها لانها فى

هذه اللحظة تشعر دون وعى بحاجتها الى اى شىء تستند إليه) .

بلكريدى : ربما كنت على صواب .. ربما كان الامر كما تقول يا عزيزى الدكتور .. ولكن ذلك كان انطباعى ..

الدكتور : اننى لا ادعى معارضتك .. ولكن صدقنى .. انه ليس الا .. آه .. كما قلت بنفسك .. مجرد انطباع ..

بلكريدى : ولكن يا صديقى العزيز .. لقد قال ذلك بالفعل .. وبوضوح تام (**يستدير ناحية الماركيزة**) ألم يقل ذلك يا ماركيزة ؟

دونا ماتيلدا : (**تلتفت وقد قطع ذلك حبل افكارها**) ماذا قال ؟ (**ثم تقول غير موافقة**) اوه .. اجل .. ولكن ليس السبب ما قلت .

الدكتور : كان يشير إلى الملابس التى كنا نرتديها .. ردائها .. (**يشير بيده ناحية الماركيزة**) مسوح الرهبنة .. هناك شىء صبيانى جداً .. فى المسألة كلها .

دونا ماتيلدا : (**تلتفت اليه فجأة فى غضب**) صبيانى ؟ ماذا تعنى يا دكتور ؟

الدكتور : انه كذلك من احدى وجهات النظر ! .. كلا يا ماركيزة ، دعينى اكمل كلامى .. ولكن من الناحية الاخرى فالامر أكثر تعقيدا مما قد يلوح لك ..

دونا ماتيلدا : فيما يخصنى .. الامر واضح جدا

الدكتور : (**وعلى شفتيه بسمة التعاطف التى كثيرا ما يخص بها الخبراء ممن يجهلون تخصصهم**) بالطبع يا عزيزتى الماركيزة .. ولكن من المهم ان نفهم الخصائص السيكولوجية للمجنون .. انها تعطيه .. أؤكد هذه النقطة .. تعطيه نوعا خاصا من قوة الملاحظة الغريبة .. فهو يستطيع مثلا ، وببساطة تامة ان يتعرف على الشخصية الحقيقية لمن يظهر امامه متنكرا .

وهذا شيء قاطع تماما .. وهو يستطيع ، فى الحقيقة ان يميـزه كتنكر ، ومع ذلك ، وفى نفس الوقت ، يصدقه .. بالضبط مثل الاطفال .. فالتنكر عندهم ليس مجرد لعب .. بل حقيقة ايضا .. ولهذا قلت ان الامر (صبيانى) .. ولكن الامر معقد للغاية .. وهو معقد بهذا المعنى .. لابد انه يعى تماما انه لنفسه .. لابد انه ، فى نظر نفسه .. صورة .. صورة خيالية .. هذه الصورة التى رأيناها (**اشارة إلى الصورة الموجودة فى غرفة العرش ولذلك فهو يشير إلى اليسار**)

بلكريدى : هذا ما قاله فى الواقع ...

الدكتور : جميـل جدا .. صـورة .. ظهرت .. أمـامها صـور أخـرى .. صورنا .. هل كلامى واضح ؟ وفى حالة الهذيان الحادة الثاقبة التى عنده .. استطاع فى الحال أن يدرك فرقا ما بين صورتنا وصورته .. أى أنـه استطاع أن يعـرف فى الحال اينـا .. ان صورنا .. لم تكن ما ادعينا كونه .. كنا خيالات .. ولذلك لم يثق بنا .. فكل المجانين مسلحون بنوع خاص من عدم الثقة الذى يظـل دائما فى حـالة تـأهب .. والامر فى منتهى البسـاطـة فى الحقيقـة .. ولكن من الطبيعى ألا يرى العطف الـذى تضمنه تمثيلنا ، حيث لعبنا لعبتنا الصغيرة حول عالمه الخيالى ... وقد كشف لنا عالمه هذا عن نفسه كعالم ملىء بالمآسى كلها ... آه .. كيف كيف أقولها ؟ .. بدا كما لو كان يتحدانا .. ولكن هذا لأنه لم يثق بنا ... نعم ، كلما حاول ان يكشفنا على حقيقتنا كممثلين ومدعين ، بدا مفجعا .. وبقدومه ليحيينا هكذا .. اوه .. نعم كان يلعب دورا هو الآخر .. بشعره الذى صبغه عند فوديه .. وذلك الاحمر على صدغيه .. وبقوله لنا انه فعل ذلك .. كنكتة ..

دونا ماتيلدا : (**وقد نفد صبرها**) كلا .. انت مخطىء يادكتور .. ليس الأمر كذلك على الإطلاق ... أنت مخطىء تماما .

الدكتور : ولماذا مخطىء .. اذا كان لى أن أسأل ؟

دونا ماتيلدا : (**فى لهجة منتفضة**) اننى متأكدة تماما انه قد تعرف على .

الدكتور : لا .. هذا مستحيل .. مستحيل تماما
بلكريدى : (**فى نفس الوقت**) كيف امكنه ذلك يا عزيزتى ؟
دونا ماتيلدا : (**تتكلم بارتعاش شديد ولكن بلهجة اكثر حسما**) لقد تعرف على ! عندما اقترب منى ليحدثنى .. عندما نظر فى عينى .. فى داخل عينى .. تعرف على ..
بلكريدى : ولكنه كان يتحدث عن ابنتك
دونا ماتيلدا : ليس هذا صحيحا .. كان يتحدث عنى ... كان يتحدث عنى .
بلكريدى : نعم .. ربما .. عندما تحدث عنى ..
دونا ماتيلدا : (**تفضى بما عندها فى الحال**) ... عن شعرى الذى صبغ ... ولكن الم تلحظوا كيف اضاف قائلا : « أو ذكرى بشرتك السمراء ، اذا كنت سمراء » ... لقد تذكر جيدا اننى ... فى تلك الايام .. كان شعرى أسود
بلكريدى : كلام فارغ ياعزيزى ، كلام فارغ تماما
دونا ماتيلدا : (**لا تكترث بسماع ما يقول ، تلتفت إلى الدكتور**) فى الحقيقة ان شعرى يا دكتور اسود .. مثل شعر ابنتى .. ولذلك فقد بدأ يتكلم عنها ..
بلكريدى : ولكنه لا يعرف ابنتك ولم يرها أبدا .
دونا ماتيلدا : بالضبط .. اوه يا لكم من اغبياء .. عندما كان يتحدث عن ابنتى كان يقصدنى انا .. كما كنت فى ذلك الوقت ..
بلكريدى : احفظنا يا رب من العدوى .. ان هذا الجنون معد
دونا ماتيلدا : (**فى صوت خفيض وباحتقار**) ليس جنونا .. لا تكن احمق
بلكريدى : سامحينى يا عزيزتى ، ولكن هل كنت زوجته يوما ما .. ؟ فى عالمه المجنون هذا ـ ابنتك هى زوجته ـ برثا دى سوسا .
دونا ماتيلدا : بالطبع هى كذلك .. لأننى لم اعد سمراء كما كان يذكرنى .. ولكن « هكذا .. شقراء ... وقد قدمت نفسى على أننى « أدليادى » ... أمها ... إن بنتى لا وجود لها عنده ... ولم يرها مطلقا ... وقد قلت أنت ذلك .. فكيف إذن يعرف ما إذا كانت شقراء أم سمراء ؟
بلكريدى : ولكنه قال سمراء لأنها .. كان تصميمها .. يا إلهى .. كان مثل

شخص يحاول ان يثبت ذكرى الشباب بلون الشعر .. لم يكن يهم ما اذا كان اسود ام اصفر .. وانت .. كالعادة .. تركت خيالك يسرح بعيدا ويقيم كل تلك النظريات الخرافية .. ثم تقولين انني كان لا يجب ان أكون حاضرا .. هه يا دكتور .. إنها هي التي كان يجب ألا تحضر ..

دونا ماتيلدا : **(تثبط ملاحظة بلكريدي من عزيمتها لبرهة ، فتقف في مكانها وقد استغرقتها الأفكار ولكنها تستأنف ، في عنف وغضب هذه المرة لأنها قد اصبحت موزعة بين الشك واليقين)** كلا .. كلا .. كان يتحدث عني ... كان يحدثني طول الوقت ... يتحدث معي وعني ..

بلكريدي : يا إلهي .. إنه لم يعطني فرصة للتنفس لحظة واحدة ، ثم تقولين انه كان يتحدث عنك طول الوقت ... ربما كنت تظنين انه كان يشير إليك عندما كان يكلم بيتر داميانى

دونا ماتيلدا : **(وقد اصبح موقفها موقف تحد ، ضاربة بكل قواعد اللياقة عرض الحائط)** ومن يعرف ؟ ... ايمكنك ان تفسر .. لماذا .. منذ البداية شعر بهذا البغض نحوك .. ونحوك انت فقط ؟ **(اللهجة التي تسأل بها تجعل الاجابة عن سؤالها واضحة صريحة ـ « لأنه ادرك انك عشيقي » ـ بلكريدي يدرك ذلك فورا حتى انه يتعثر في حديثه .. يقف في مكانه صامتا وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامه باهتة)**

الدكتور : ارجو ان تغفروا مقاطعتي لكم .. ولكن ربما كان السبب في ذلك ان احدهم قد اعلن عن زيارة الدوقة آدليادي واسقف كلوني .. ولذلك ، فعندما وجد شخصا ثالثا أمامه ، شخصا لم يعلن قدومه ، ثارت شكوكه .

بلكريدي : بالضبط .. انت على حق تماما يا دكتور .. لقد شعر بعدم الثقة ولذلك وجد في عدوا على الفور .. بيتر داميانى .. ولكن فكرة انه قد تعرف عليها قد اصبحت راسخة لديها ..

دونا ماتيلدا : لا شك في ذلك على الاطلاق .. لقد قالت عيناه انه تعرف علي يا دكتور .. تعرف يا دكتور .. هناك طريقة للنظر .. لا تدع

مجالا للشك .. ربما كان ذلك لجزء من الثانية ولكن .. أتريدون
ـنى ان انكر ما أظن انه حقيقى ؟

الدكتور هذا احتمال لا يجب ان نغفله .. لحظة صفاء .

دونا ماتيلدا : أرأيت .. ربما كان هذا .. ثم ان كل كلمة قالها كانت تبدو لى .. كل كلمة .. مليئة بالندم على ذلك الوقت .. عندما كنا صغارا .. ندم تولد من الشىء الرهيب الذى حدث له ... الشىء الذى جمده فى .. جمده فى ذلك القناع الذى لم يستطع التخلص منه .. وهو يتوق .. أوه كم يتوق الى تحرير نفسه منه .

بلكريدى : بالطبع يريد ذلك .. حتى يستطيع ان يطارح ابنتك الغرام .. أو كما تفضلين فى اعتقـادك .. وقد اثـارت رقته عـاطفتك ، حتى يستطيع ان يطارحك الغرام .

دونا ماتيلدا : ان عاطفتى نحوه قوية .. ارجو ان تصدق ذلك

بلكريدى : هذا واضح يا عزيزتى الماركيزة ! ان صناع المعجزات ليؤمنون ايمانا راسخا ان ذلك يمكن ان يحقق له معجزة !

الدكتور : أيمكننى ان اقول شيئا ! اننى لا اقيم وزنـا كبيرا للمعجـزات لاننى طبيب ولست صانع معجزات .. ولقد اصغيت بانتباه بالغ لما كنتم تقولون وأكرر أنه من الواضـح جدا أن هـذه المرونـة الارتباطية بالذات ، والتى تصدق كل حالة من الهذيان المنتظم ، فى حـالته ... كيف اقـولها .. متـراخية جـدا ... وباختصـار شديد ... اقول ان عناصر الهذيان عنده لم تعد متماسكة بالقدر الذى يشكل نمطا متصلا .. ويبـدو لى أنه يصـادف صعوبـة شديدة فى الاحتفاظ بتوازن شخصيته الثانية .. فإن الذكريات المفـاجئة تشـده إلى الوراء .. وهـذا يعطيه راحـة كبيـرة ... ولا ينجم ذلك عن حالة من النفور الاولى ولكن عن ميل مقبض للانتكاس فى حالة من السوداوية الغارقة فى التأمل الذى ينم عن آه ... هه .. نعم .. نشاط كبير حقيقى للمخ ، وهذا يعطيه راحة كبيرة كما قلت ، واذا كنا بواسطـة هذه الخطـة العنيفة التى انتويناها .

دونا ماتيلدا : (تستدير ناحية النافذة ، وقد بدا صوتها كصوت شخص

مريض) لماذا لم تعد السيارة بعد ؟ لقد انقضت ثلاث ساعات ونصف ساعة منذ ...

الدكتور : **(فى دهشة)** ماذا قلت ؟

دونا ماتيلدا : السيارة يا دكتور .. لقد ذهبت منذ أكثر من ثلاث ساعات ونصف ..

الدكتور : **(يخرج ساعته وينظر فيها)** أكثر من اربع ساعات حسب ساعتى ..

دونا ماتيلدا : كان يجب ان تحضر منذ نصف ساعة على الأقل ، ولكن كالمعتاد ..

بلكريدى : ربما لم يستطيعوا العثور على الرداء

دونا ماتيلدا : ولكنى قلت لهم عن مكانه بالضبط **(وقد نفد صبرها تماما)** من الارجح ان فريدا .. اين فريدا ؟

بلكريدى : **(ينظر من النافذة)** ربما كانت فى الحديقة مع شارل

الدكتور : ربما كان يحاول ان يقنعها كيف انه من الحماقة ان تخاف منى ..

بلكريدى : ولكنها ليست خائفة يا دكتور .. لا تجعل هذه الفكرة تتسلط عليك .. المسألة كلها انها قد سئمت كل شىء ..

دونا ماتيلدا : ارجوك يا دكتور ألا تطلب منها ان تساعدنا بأى طريقة .. فأنا أعرف ابنتى ..

الدكتور : اعتقد ان علينا ان نصبر لكى نرى ماذا تسير إليه الامور .. وعلى أية حال فان كل شىء لن يستغرق اكثر من لحظة .. وعلينا ان ننتظر حتى يحل المساء على اية حال .. وكما كنت اقول .. لو نجحنا فى تشكيكه فيما هو عليه الآن ... لو استطعنا مرة واحدة وبسرعة ان نقطع الخيوط .. التى بدأت تتراخى الآن .. الخيوط التى ما زالت تشده إلى القصة الخيالية التى خلقها لنفسه والتى ما زال يعيش فيها ... وفى نفس الوقت ... أن نعطيه ما كان هو نفسه يطلبه .. الم يقل بنفسه ... « ان المرء لا يستطيع ان يظل دائما فى السادسة والعشرين يا سيدتى » ؟ اى انه كان يريد ان يتحرر من العقوبة التى يقضيها ... والتى يشعر بنفسه انها

نوع من العقوبة ... والآن ألخص القول فى انه ... اذا استطعنا ان نجعله يسترجـع .. مرة واحـدة ،إحساسا ببعد المسافـة الزمنية ..

بلكريدى : **(عـلى الفور)** ... سـوف يشفى **(يضغط ساخـرا على كـل مقطع)** سوف تحرره لك يا دكتور !

الدكتور : فلنأمل ، اذن ، ان نعيده الى حالته الطبيعية ، تماما مثل ساعة توقفت عند وقت معين ... اجل سنكون مثل من يقف ممسكـا بساعة فى يده ، منتظرا ان يعود هذا الوقت ... وعندئذ نهزها ... ولنأمل ان تبدأ ، فى الدوران مرة اخرى وان تخبـرنا الـوقت الصـحيح مرة اخرى بعد ان توقفت طوال هذه المدة !

(فى هذه اللحظة ، يدخل الماركيز شارل دينولـلى من الباب الرئيسى)

دونا ماتيلدا : آه شارل..وفريدا ؟ أين هى ؟

دينوللى : بالغرفة الاخرى ... ستصل هنا بعد لحظة

الدكتور : هل حضرت العربة ؟

دينوللى : أجل .

دونا ماتيلدا : أوه حضرت .. وهل احضروا ردائى ؟

دينوللى : أجل .. لقد أحضروه هنا منذ مدة قصيرة

الدكتور : أوه ممتاز .. ممتاز ...

دونا ماتيلدا : **(ترتجف)** ولكن اين هو ؟ اين هو ؟

دينوللى : **(يهز كتفيه ويبتسم فى اسى مثل من يسمح لنفسه مترددا بالاشتراك فى نكتة لا يعتقد انها لائقة)** اوه .. سوف ترين ... فى اى لحظة **(يشير إلى الباب الرئيسى)** ها هو ... **(يظهر برتولد فى المدخل ويعلن فى وقار)**

برتولد : صاحبة العظمة الماركيزة ماتيلدا دى كونوسا **(تدخل فريدا على الفور .. تبدو رائعة وجميلة جدا ... ترتدى الرداء الـذى ارتدته امها على انها .. الماركيزة ماتيلدا دى توسكـانى .. وهكذا تبدو تجسيدا حياً للصورة المعلقة فى غرفة العرش)**

فريدا : **(تمر جانب برتولـد الذى ينحنى ـ وتقـول له فى كبـرياء**

واحتقار) دى توسكانى من فضلك ليست كانوسا الا أحدى قلاعى ...

بلكريدى : (باعجاب) انظروا ... انظروا اليها ... انها تشبه تماما شخصا آخر ...

دونا ماتيلدا : تشبهنى .. يا آلهى الا ترون ؟ هلاّ وقفت لحظة يافريدا ... اترون ؟ انها صورة حية منى عندما رسمت تلك الصورة ...

الدكتور : أجل .. أجل ... الكمال بعينه ... كما قلت يا صاحبة العظمة ... الصورة والحياة ...

بلكريدى : نعم ... اوه ليس هناك اى شك فى ذلك ... انها انت فى الحياة يا عزيزتى ... انظروا لها جميعا ... انظروا رائعة أليست كذلك ؟

فريدا : لا تضحكونى من فضلكم والا انفجرت ... كم كان خصرك دقيقا يا مامى ... وكم آلمنى ان ارتدى هذا الرداء !

دونا ماتيلدا : (وقد تاثرت بشدة) لحظة واحدة يا فريدا .. قفى مكانك .. هذه الثنيات .. هل يضايقك الرداء حقيقة (بينما تتكلم تصلح من وضع الثوب قليلا)

فريدا : اننى اتنفس بصعوبة بالغة ... بسرعة يا مامى فلننته من هذا سريعا .

الدكتور : أوه .. أوه .. يجب ان ننتظر حلول المساء

فريدا : كلا .. كلا .. لن استطيع ان احتمل حتى ذلك الوقت .. لا استطيع

دونا ماتيلدا : ولماذا ارتديته الآن اذن ..

فريدا : لحظة ان رأيته .. لم استطع مقاومة الإغراء

دونا ماتيلدا : كان يمكنك على الاقل ان تنادى على كى اساعدك على ارتدائه ... انه مازال متكسرا .. اوه يارب .. يا رب ..

فريدا : لقد اكتشفت ذلك يا مامى ... وهذه الثنيات قديمة جدا ولن نستطيع فردها بسهولة

الدكتور : هذا لا يهم يا ماركيزة .. فالوهم قد اصبح كاملا (يذهب الى دونا ماتيلدا ويطلب منها ان تتقدم قليلا الى الأمام ابنتها

دون أن **تخفيها**) من فضلك يا ماركيزة .. اتسمحين بأن ... نعم حتى تكون مسافة قصيرة .. هكذا .. الى الامام قليلا .. ام

بلكريدى : حتى يستعيد الاحساس بالمسافة الزمنية !

دونا ماتيلدا : عشرون سنة بعدها ! ... مصيبة آه !

بلكريدى : أوه لا تبالغى

الدكتور : (**يحاول محرجا ان ينقذ الموقف**) أوه ... لا .. لا .. كنت ... كنت آه ... كنت اشير الى الرداء .. لم اكن افكر فى .. فيك يا ماركيزة ... قصدت ان ارى ..

بلكريدى : (**ضاحكا**) ولكن اذا كنت تشير إلى الرداء يا دكتور .. فالمسافة الزمنية اكثر بكثير من عشرين عاما ... انها ثمانمائة عام ... هاوية سحيقة ... وهل تريد حقا ان تدفعه دفعة عنيفة حتى يقفز هذه الأعوام فى قفزة واحدة مفاجئة ؟ (**يشير أولاً إلى فريدا ثم إلى الماركيزة**) من هناك الى هنا ؟ سوف يكون عليك بعدئذ ان تجمع البقايا فى سلة ... سيداتى سادتى .. لا هذا امر خطير .. فكروا فيما انتم مقدمون عليه .. الامر بالنسبة لنا لا يتعدى عشرين عاما .. رداءين .. وحفلة تنكرية .. ولكن اذا كان الامر كما تقول يا دكتور فإن الوقت بالنسبة له قد توقف .. واذا كان يعيش هناك (**يشير إلى فريدا**) معها ... منذ ثمانمائة عام .. دعونى اقل لكم شيئا .. فان القفزة التى سوف يتعين عليه ان يقفزها سوف تتركه مزعزعا حتى اذا وجد نفسه بيننا .. (**يهز الدكتور اصبعه معترضا**) لا ترى ذلك ؟

الدكتور : كلا يا عزيزى البارون .. لا ارى ذلك .. لأن الحياة ، كما ترى ، تستطيع ان تستعيد دقاتها من جديد ؛ حياتنا هذه ... لو نفذنا ما أقترحه .. سوف تصبح حقيقة بالنسبة له كما هى بالنسبة لنا ، وسوف ننتزعه بسرعة وفجأة من قبضة ذلك الوهم الذى يستبد به ، ونجعله يكتشف ان الثمانمائة عام التى تتحدث عنها ليست سوى عشرين عاما ... ستكون مثل تلك الحيل التى .. خذ مثلا قفزة الاضاء فى شعائر الماسونية مثلا .. انهم يشعرون

انهم قفزوا قفزة لا نهاية لها بينما هى فى الواقع لا تتعدى بضع بوصات ..

بلكريدى : يا له من اكتشاف رائع .. اجـل .. اجل .. انظـر .. انظر إلى فريدا والماركيزة يا دكتور ... أيهما تتقدم الأخرى فى الزمن ؟ نحن العجـائز يـا دكتور .. ان الجميـع يعتقدون ان الشبـان يتقدموننا فى العمر .. لا ... بالمرة .. نحن المتقدمين .. لان الزمن لنا أكثر منه لهم ..

الدكتور : آه لو لم يفرقنا الماضى هكذا

بلكريدى : ولكنه لا يفرقنا .. وعلى اية حال يفرقنا من ماذا ؟ (**يشير الى فريدا ودينوللى**) ما زال امامهما ان يفعلا ما فعلناه نحن فعلا يا دكتور .. أى انهمـا سوف يتقـدمان فى العمـر ويعيدان نفس الاخطاء الغبية التى ارتكبناها يا دكتور .. تعلم طبعا كيف نؤمن جميعا اننا ندخل الحيـاة من أحد الأبـواب .. ولكن ليس هذا سوى وهم .. لا حقيقة فيه بالمرة .. فساعة ان يولد الانسان ، ويبـدأ فى الموت .. ومن بـدأ أولا فهو أكثـر الجميع تقـدما فى العمر .. أما اصغرنا فهو الأب العجوز آدم .. انظر اليها (**يشير إلى فريدا**) انها اصغر من اينا بثمانمائة عام .. الماركيزة ماتيلدا دى توسكانى ..

(ينحنى لها باحترام شديد)

دينوللى : تيتو .. كف عن هذه الحماقات من فضلك .. ارجوك

بلكريدى : أوه اذن فانت تعتقد اننى احمق .. أليس كذلك ؟

دينوللى : بلى اعتقد .. يا حفيظ يا رب .. انـك لم تفعل شيئـا سوى ان تخرف وتلقى بالنكات السخيفة منذ وصلنا هنا ..

بلكريدى : نعم .. انا .. ألم يصل بى الامر الى ان ارتديت مسوح راهب بندكتى .. لكى ..

دينوللى : أعلم أنك فعلت ذلك .. ولكن من أجل غرض جاد ...

بلكريدى : ها نحن اذن .. ولقد انقلب الامر جدا فاصبح بعضكم يـرونه حقيقة أليس كذلك ؟ فريدا مثلا .. (**ثم يلتفت إلى الدكتور**)

بشرفى يا دكتور انا لا زلت غير قادر على فهم ما تحاولون ان تفعلوه .

الدكتور : (**بجفاء**) سوف ترى .. دعنى فقط ارتب الامر بطريقتى الخاصة ... بالطبع لا تفهم ... ولكنى فى اللحظة التى ترى فيها الماركيزة ترتدى ثيابها العصرية ...

بلكريدى : أتعنى اذن انها سوف ... ؟

الدكتور : طبعا ... طبعا .. لقد احضرت لها رداء آخر ... كل شىء جاهز للخطة التى يعتقد فيها ان من يراها امام عينيه ليست سوى الماركيزة ماتيلدا دى كانوسا ...

فريدا : (**تسمع الدكتور يخطىء هذا الخطأ فتقاطع المحادثة التى كانت منهمكة فيها فى صوت خفيض مع دينوللى وتقول**) دى توسكانى .. توسكانى

الدكتور : (**بجفاء**) الامر سواء ..

بلكريدى : آه .. فهمت .. بدلا من ماركيزة واحدة سيجد امامه اثنتين .. هه ؟

الدكتور : بالضبط .. اثنتين .. وعندئذ ..

فريدا : (**تنادى عليه**) دكتور .. تعال هنا لحظة .. هناك ما اريد ان اقوله لك (**يذهب إلى فريدا ودينوللى ويتظاهر انه يشرح لهما الامور**)

بلكريدى : (**فى صوت خفيض لدونا ماتيلدا**) يا آلهى ... لقد بدأ الامر يخرج من ايدينا .. انظرى يا عزيزتى ...

دونا ماتيلدا : (**تلتفت اليه وقد تجهم وجهها**) ماذا ؟

بلكريدى : هل يهمك الامر لهذه الدرجة ؟ حتى يجعلك توافقين على الاشتراك فى ... ؟ ان هذا شىء مريع بالنسبة لامرأة ...

دونا ماتيلدا : اذا كانت امرأة عادية .. نعم

بلكريدى : كلا يا عزيزتى .. هنا اختلف معك .. انها لتجربة مريعة اذا طلبنا من اى امرأة ان تقوم بها .. انها انكار كامل لل ...

دونا ماتيلدا : أنا مدينة له بها .

بلكريدى : لا تكذبى يا عزيزتى فأنت تعلمين جيدا انك لن تضحى

باحترامك لنفسك ولا بأقل القليل منه

دونا ماتيلدا : اذن اين انكار الذات ؟

بلكريدى : سوف تفعلين ما يلزم ليجنبك فقدان احترام الناس وما يكفى لإهانتى .

دونا ماتيلدا : ولكن .. من ذا يفكر فيك الآن ؟

دينوللى : (**يتقدم**) نعم .. انا موافق تماما .. بديع جدا .. نعم هذا ما سنفعله (**يلتفت ناحية برتولد**) أنت .. اذهب وائت بأحد الآخرين

برتولد : أجل يا سيدى .. حالا (**يخرج برتولد من الباب الرئيسى**)

دونا ماتيلدا : سندعى أولا اننا نريد ان نودعه ..

دينوللى : بالضبط .. ولهذا ارسلت من يستدعى أحدهم ليعلن انك على وشك الانصراف (**يلتفت لبلكريدى**) أما أنت فلا داعى لأن تودعه .. امكث هنا

بلكريدى : (**يهز راسه فى سخرية**) أوه .. كلا .. لا داعى .. لا داعى لتوديعه

دينوللى : انت تفهم .. اليس كذلك ؟ اننا لا نريد ان نثير شكوكه مرة اخرى .

بلكريدى : بالطبع افهم ... اننى .. ماذا اقول .. انا كم مهمل ..

الدكتور : يجب أن نقنعه .. نقنعه تماما اننا قد رحلنا .. يجب ان يتأكد من ذلك تماما .

(**يدخل لاندولف من اليمين يتبعه برتولد**)

لاندولف : أيمكننا أن ندخل .. ؟

دينوللى : أجل .. أجل .. ادخلا والآن . أنت لولو ، أليس كذلك ؟

لاندولف : لولو أولاندولف ... كما يحلو لك

دينوللى : جميل ... والآن يريد الدكتور والماركيزة أن يودعا ...

لاندولف : جميل جدا .. كل ما علينا ان نقوله هو انهما قد اقنعا البابا ان يسمح له بالمثول بين يديه ... هو بالداخل فى حجرته الآن ينتحب ويشكو ، وهو نادم على كل ما قاله ، وهو فى حالة سيئة للغاية ، يخشى ألا يسمح له البابا بالمثول بين يديه .. اذا تفضلتم ...

ألديكم مانع ان ترتدوا هذه الثياب مرة اخرى ؟

الدكتور : كلا بالطبع لا ... هلم بنا اذن ... فلنذهب ..

لاندولف : لحظة واحدة ، هل أقترح شيئا ؟ لم لا تضيفون ان ماركيزة توسكانيا قد اشتركت معكم فى مناشدة البابا ان يسمح له بالمثول بين يديه .

دونا ماتيلدا : أرأيتم .. ماذا قلت لكم ؟ ها هو قد تعرف على !

لاندولف : اخشى الا يكون الامر كذلك يا سيدتى .. اغفرى لى ولكن كما ترين .. انه يعيش فى رعب مقيم من الماركيزة التى مكث معها البابا ايام كانوسا .. الامر كله غريب ... ولكنى اعتقد .. يبدو ان إلمامى بالتاريخ ضعيف بعض الشىء ، وسوف تعرفين ذلك بالطبع افضل منى ... أليست هناك اسطورة تقول بأن هنرى الرابع كان يحب ماركيزة توسكانيا سرا .

دونا ماتيلدا : (على الفور) كلا .. لا شىء من هذا القبيل ، ليست هناك اسطورة كهذه .. وفى الحقيقة كانا عدوين لدودين ...

لاندولف : هذا ما ظننته .. ولكنه يقول انه كان يحبها ، وهو يكرر ذلك كثيرا ... وهو الان فى رعب مقيم خشية ان يؤثر احتقارها لحبه الخفى لها على علاقتة مع البابا .

بلكريدى : يجب ان نجعله يدرك ان هذا النفور منه لا وجود له الآن .

لاندولف : سيكون رائعا لو استطعنا ذلك .

دونا ماتيلدا : (للاندولف) نعم .. رائع (ثم لبلكريدى) لانه حسبما تقول كتب التاريخ .. هذا اذا كنت لا تعرف ذلك ... فان البابا لم تلن قناته الا بعد ان رجته الماركيزة ماتيلدا واسقف كلونى .. واستطيع ان اقول يا عزيزى بلكريدى اننى كنت انوى استغلال هذه الواقعة وقت المهرجان حتى اثبت له اننى لم اعد اشعر نحوه بأية عداوة ، كما كان يتصور .

بلكريدى : يا للروعة يا عزيزتى الماركيزة .. ان اخلاصك للتاريخ مؤثر جدا ... ارجو ان تظلى على هذا الاخلاص .

لاندولف : فى هذه الحالة يجب ان نقلق من ناحية .. تستطيع الماركيزة أن توفر على نفسها جهد التنكر المزدوج وأن تقدم نفسها مع صاحب

الغبطة (**يسير ناحية الدكتور**) على أنها ماركيزة توسكانيا .

الدكتور : (**بسرعة وبعنف**) لا ... لا .. لن ينفع هذا .. بل سوف يفسد كل شيء .. يجب ان يأتى انطباع المواجهة مفاجئا .. ويجب ان يسبب له صدمة هائلة .. لا .. لا .. يا ماركيزة ...والآن فلنذهب لنغير ملابسنا .. سوف تظهرين مرة اخرى على انك الدوقة آدليادى ، أم الامبراطورة .. وسوف نستأذن منه .. وأهم شيء هو أن يعلم اننا قد رحلنا .. والآن هيا بنا .. يجب ان نذهب وألا نضيع دقيقة واحدة هناك فأمامنا الكثير قبل ان نستعد لهذا المساء .

(يخرج الدكتور ، دونا ماتيلدا ولاندولف من اليمين)

فريدا : لقد بدأت اشعر بالرعب مرة أخرى .

دينوللى : مرة اخرى يا فريدا ؟

فريدا : ربما كان من الافضل لو كنت رأيته فى المرة الاولى .

دينوللى : صدقينى ليس هناك ما يخيف .

فريدا : ليس خطرا .. أليس كذلك ؟

دينوللى : بالطبع لا أنه هادىء تماما .

بلكريدى : (**بعاطفية مفتعلة ساخرة**) فى اعماق الحزن ألم تسمعى انه يحبك .

فريدا : أشكرك بشدة .. هذا ما يخيفنى .

بلكريدى : لن يؤذيك ..

دينوللى : ولن يستغرق الامر أكثر من لحظة !

فريدا : نعم .. ربما .. ولكن فى الظلام .. وحدى معه ..

دينوللى : ولكن للحظة واحدة .. كما اننى سوف أكون موجودا ... قريبا منك .. وسوف يختبىء الجميع خلف الباب ... على استعداد للنجدة فى اللحظة الحرجة ... ولحظة ان يرى امك امامه سوف ينتهى دورك .. أترين ؟

بلكريدى : ان ما أخشاه شيء مختلف تماما .. اخشى ان يكون كل ذلك مضيعة للوقت ..

دينوللى : والآن لا تبدأ ... اعتقد انها فكرة صائبة تماما .. كما اننى اعتقد انها سوف تنجح .

فريدا : وهذا ما اظنه انا ايضا .. هذا ما أظنه .. أكاد أشعر بها فى عظامى .. يا الله ان جسمى كله يرتجف ..

بلكريدى : ولكن يا اعزائى الصغار .. ان المجانين ... رغم انهم لا يعلمون ذلك ... ان لهم سعادتهم الخاصة بهم والتى لا نستطيع نحن ان ندركها .

دينوللى : (**فى ضيق ، يقاطعه**) يا حفيظ يا رب ... عم تتحدث الآن ؟ ... اى سعادة ..

بلكريدى : (**بصوت قوى**) انهم لا يفكرون تفكيرا منطقيا ..

دينوللى : وما دخل المنطق بما نحن فيه الآن ؟

بلكريدى : هه ؟ ألا ترى الآن ان هذا بالضبط ماسيحتاجه عندما يراها (**يشير الى فريدا**) هى وامها ؟ ألا ترى انه سوف يتعين عليه ان يفكر تفكيرا منطقيا اذا كنتم تريدون لخطتكم النجاح ؟ تذكر أن كل شىء من نتاج تفكيرنا لا تفكيره !

دينوللى : كلام فارغ ! ماذا تعنى بحق الشيطان ؟ سحقا للمنطق ! ان ما نفعله هو ان نعطيه صورة مزدوجة لقصته الخيالية .. وقد سمعت بنفسك ما قاله الدكتور ..

بلكريدى : (**فجاة ، ودون ان يتوقع ذلك احد**) اتعرف ... اننى لم افهم مطلقا لماذا يحصلون على شهادات فى الطب !

دينوللى : (**فى دهشة**) من ؟

بلكريدى : الأطباء النفسيون ...

دينوللى : ماذا تعنى بحق الـ ... ؟ وماذا يجب ان يحصلوا عليه اذن ؟

فريدا : اذا كانوا يريدون ان يصبحوا اطباء نفسيين ، ماذا ... ماذا اذن ؟

بلكريدى : بالضبط ! فى القانون طبعا يا عزيزتى ... كلام ... كلام .. كلام ، وكلما تكلمت اكثر ، أصبحت مشهورا « المرونة الارتباطية » ! « الاحساس بالمسافة الزمنية » .. والغريب ان اول شىء يؤكدونه هو انهم لا يصنعون معجزات .. فى الوقت الذى تكون المعجزة هى الشىء الوحيد الذى تحتاجه ... ولكنهم

يعلمون جيدا انهم كلما قالوا انهم ليسوا بصنـاع معجزات ، خدعت جديتهم الناس ... لا ... إنهم لا يصنعون معجزات ... ولكنهم بطريقة ما ينجحون دائما فى الخروج من المآزق وهذا شيء ظريف بالنسبة لهم طبعا ...

(بـرتولـد فى هذه الأثنـاء كـان يتجسس من ثقب البـاب الأيمن) .

برتولد : لقد اوشكوا .. ياه .. انظروا .. انهم .. يبدو انهم قادمون الى هنا ..

دينوللى : متأكد ؟

برتولد : احم .. يبدو انه يريد ان يصحبهم ... نعم ... نعم ... انه قادم ناحية الباب .

دينوللى : من الافضل اذن ان نذهب ... يستحسن ان نخرج من هنا فورا **(عندما يصل الى الباب يلتفت ويقول لبرتولد)** وأنت تبقى هنا !

برتولد : ضرورى ؟

(دون ان يجيب ، دينوللى وفريدا وبلكريدى يهـربون من البـاب الرئيسى ويتـركون بـرتولـد ، الذى يبقى فى عـذاب وضيق الترقب .. الباب الايمن يفتح ويدخل لاندولف أولا ثم يقف منحنيا عند الباب بينما تدخل دونا ماتيلدا مرتدية الـرداء والتاج اللـذين كانت تـرتديهمـا فى الفصل الأول ، يصحبها الدكتور الذى يرتدى ثياب اسقف كلونى ... هنرى الرابع يرتدى ثيابه الامبراطورية ويمشى بينهما . اوردولف وهارولد فى المؤخرة ..).

هنرى الرابع: **(يستمر فى الحديث فى موضوع يفترض انهم كانوا قد بداوه بينما كانوا فى قاعة العرش)** ان سؤالى هو : كيف يمكن ان أكون على هذه الدرجة من الدهاء ، اذا كنت غبيا كما يتصورون ؟

الدكتور : كلا ... لست غبيا على الاطلاق

هنرى الرابع: (مبتسما وقد سرته اجابة الدكتور) اذن ، فـأنت تظن اننى داهية حقيقة ؟

الدكتور : كلا .. كلا .. لا غبى ولا داهية !.

هنرى الرابع: (**يتوقف ويقول بلهجة تحمل الكثير من الطيبة والسخرية كمن يشير الى ان مثل هذا الوصف غير ممكن**) يا صاحب الغبطة .. اذا لم يكن الغباء رذيلة يمكن ان تتمشى مع الدهاء ، فقد كنت آمل ، حين انكرتها ، ان تتكرم وتتفضل على بشىء من الدهاء ... وأؤكد لك اننى فى اشد الحاجة إلى هذا القدر من الدهاء ، ولكن اذا اردت ان تحتفظ به كله لنفسك ...

الدكتور : ولكن ماذا يجعلك تظن اننى .. ؟ هل تعتقد اننى رجل داهية أم ماذا ؟

هنرى الرابع: أوه .. كلا يا صاحب الغبطة .. يا له من سؤال غريب .. لا اعتقد انك داهية على الاطلاق (**يترك الموضوع ، ويتحول الى دونا ماتيلدا**) بعد اذنك .. كلمة سر مع الدوقة .. هنا على العتبة ... (**يقودها الى أحد الجوانب ويسألها بمنتهى الجد موحيا بالسرية التامة**) هل ابنتك حقا عزيزة عليك ؟

دونا ماتيلدا : (**فى جزع**) آه .. نعم .. بالتأكيد ...

هنرى الرابع: وهل تريدين منى ان أكافئها بكل حبى ؟ .. بكل اخلاص .. ؟ حتى أمحو أخطائى فى حقها ؟ مع انك بالطبع لا يجب ان تصدقى كل هذه القصص التى يلفقها اعدائى عن اننى منحل و ...

دونا ماتيلدا : كلا ... كلا .. اننى لا اصدقها .. لم اصدقها ابدا ..

هنرى الرابع: اذن .. فأنت ترغبين فى ...

دونا ماتيلدا : (**الجزع فى صوتها**) ... فى ماذا ؟

هنرى الرابع: ... ان احب ابنتك مرة اخرى فورا ؟ (**ينظر اليها ويضيف بسرعة وبطريقة غامضة ، يختلط فيها التحذير بالجزع**) يجب الا تصادقى ماركيزة توسكانيا .. يجب ألا تكونى صديقة تلك المرأة ..

دونا ماتيلدا : ولكنها ، كما قلت لك من قبل ، لم تكن أقل منها إلحاحا فى رجاء البابا ... استعطافه ان يمنحك العفو .

هنرى الرابع: (**على الفور ، فى صوت رقيق ـ كل جسمه يرتجف**) يجب ألا تقولى هذا ...يجب ألا تقولى هذا .. يا رب ... ألاترين يا سيدتى أى أثر يتركه كلامك على ؟

دونا ماتيلدا : (**تنظر اليه ثم تقول فى صوت هادىء ، كما لو كانت تسر له بأمر**) ألا زلت تحبها ؟

هنرى الرابع: (**جزعا**) لا زلت ؟ ماذا تقصدين ... لا زلت أحبها ؟ أنت تعرفين إذن ؟ولكن لا أحد يعرف يجب ألا يعرف أحد .

دونا ماتيلدا : ولكن ربما كانت هى تعرف ... أجل .. ربما كان ذلك هو سبب الحاحها فى التوسل من أجلك .

هنرى الرابع: (**ينظر اليها لحظة ثم يقول**) وانت تحبين ابنتك ؟ (**وقفة قصيرة ، يلتفت الى الدكتور ، وقد امتزج الضحك بكلماته**) آه يا صاحب الغبطة ... تصور اننى لم ادرك ان لى زوجة الا بعد ان ... ولكن فات الوقت ... فات الوقت ... وحتى الآن ... نعم لابد ان يكون لى زوجة ... لاشك بالطبع انها زوجتى ... ولكنى اقسم لك ... اننى لا افكر فيها ... ربما كانت هذه خطيئة ... ولكننى لا اشعر بأى شىء نحوها على الإطلاق ... ليس فى قلبى أى شعور نحوها على الإطلاق والاغرب من ذلك ان قلب أمها ايضا خال من اية عاطفة .. اعترف يا سيدتى انها لا تعنى شيئا لك (**يلتفت الى الدكتور ويقول فى غيظ**) انها تتحدث معى عن تلك المرأة الاخرى (**يضطرب أكثر وأكثر**) بل وتلح فى ذلك .. تظل تتكلم عنها طول الوقت ..

... وانا لا افهم مطلقا لماذا تريد ذلك ...

لاندولف : (**فى مسكنة**) ربما كانت ، يا صاحب الجلالة ، تريد اقناعك بالعدول عن فكرتك السيئة عن ماركيزة توسكانيا (**يجزع لجراته على ابداء ملاحظة كهذه ، فيضيف بسرعة**) أنا أتحدث بالطبع عما يجرى من أمور الآن ..

هنرى الرابع: ربما كنت انت أيضا تعتقد انها صديقة لى ؟

لاندولف : نعم فى هذه اللحظة ، يا صاحب الجلالة ، استطيع ان اقول ذلك !

دونا ماتيلدا : نعم .. بالطبع هى كذلك ... ولهذا السبب ..

هنرى الرابع: فاهم .. وذلك يعنى اذن انك لا تصدقين اننى احبها .. فاهم .. فاهم .. ان احدا لم يصدق ذلك .. بل ان احدا لم يشك فى ذلك احسن ... هذا ما يجب أن يكون ... ان هذا ليناسب مقاصدى **(يتوقف ثم يلتفت الى الدكتور وقد تغير صوته وموقفه تماما)** هل ادركت ، يا صاحب الغبطة ، ان الشروط التى وضعها البابا ، والتى يجب ان أنفذها قبل ان يسحب قرار طردى من الكنيسة ، لا علاقة لها ، لا علاقة لها على الاطلاق ، بالاسباب التى طردنى من الكنيسة من أجلها ؟ بلغ البابا جريجورى اننا سوف نلتقى مرة اخرى فى بريسانون ، أما أنت يا سيدتى ، فإذا أسعدك الحظ بمقابلة ابنتك فى ساحة قلعة صديقتك الماركيزة ، فما نوع الرسالة التى تحبين ان أرسلها اليها معك ؟ اطلبى منها ان تحضر الى هنا لتزورنى وسوف نرى معا اذا كنت انجح فى ابقائها الى جانبى ... امبراطورتى وزوجتى ... كم من النساء قدمن انفسهن الى وأكدن لى ... أكدن لى انهن برتا دى سوسا ... وكنت أعلم ان برتا ملكى ... انها طوع بنانى ... وحاولت مرات عديدة ... حاولت ان آخذها .. أن آخذ المرأة التى .. ليس فى ذلك مايشين ... فهى زوجتى قبل كل شىء ... ولكن كل واحدة منهن ... حتى بينما كانت تقول لى انها برتا ... برتا دى سوسا ... كانت تبدأ .. لا ادرى لماذا ... فى الضحك **(ثم يضيف كمن يفضى بسر)** أتفهمنى ؟ ... فى الفراش .. لم أكن ارتدى هذه الملابس .. وكانت هى ... كانت عارية أيضا .. نعم ياالهى ... عارية ... رجل وامرأة .. كل هذا طبيعى ... فى ذلك الوقت لم يكن يهمنا أى نوع من الناس نحن ... وكانت ملابسنا ... حين نخلعها ... كانت تظل هناك معلقة فى مشاجبها مثل اطياف عديدة **(بلهجة مختلفة للدكتور)** اعتقد يا صاحب الغبطة ان الاطياف عموما فى الحقيقة لا تزيد ولا تنقص عن كونها اضطربات روحية طفيفة ... صور لا نستطيع ان نأسرها داخل حدود النوم ...

تكشف انفسها حتى عندما نستيقظ ... فى النهار .. وترعبنا ... اننى دائما اخاف الليل عندما أراها أمامى ... صور كثيرة مضطربة .. تنزل عن صهوات جيادها وتضحك ... وفى بعض الاحيان اخاف حتى من الدم الذى ينبض فى عروقى ... مثل وقع الأقدام الرتيب فى هدأة الليل ... تجوس طريقها فى الحجرات البعيدة ... ولكن اغفروا لى ... لقد ابقيتكم واقفين لمدة طويلة .. خادمك المطيع يا سيدى ... اقبل يدك يا صاحب الغبطة (**يسير معهم الى الباب ويودعهم . بينما يقف على عتبة الباب**

لاندولف : **تنحنى دونا ماتيلدا وينحنى الدكتور ويخرجان . يغلق الباب خلفهما ويستدير فجأة . هو الآن شخص مختلف تماما**) يا لهم من أغبياء ... أغبياء ... أغبياء .. قيثارات تلعب عليها أصابعى كما تشاء ... أخف لمسة ثم يتفجرون فيما اريد من اغنيات ... وهذا الأخ ... بيتر داميانى .. ها .. ها .. ها .. لقد لعبت به بطريقة جميلة حتى لقد خاف أن يمثل أمامى مرة أخرى (**يروح جيئة وذهابا بعصبية بينما يقول هذا الكلام . نغمة مرحة فى صوته اقرب الى الهذيان . فجأة تقع عيناه على برتولد الذى يتراجع فى خوف وقد ارعبه تغير هنرى الرابع المفاجىء يقف امامه ويشير اليه مخاطبا زملاءه الثلاثة ، الذين لا يقلقون رعبا ولا دهشة ولا جزعا عنه**) انظروا الى هذا الابله ... انظروا اليه كيف يقف فاغرا فاه ناظرا إلى فى بلاهته (**يهزه من كتفيه**) ألا تفهم ؟ ألا ترى كيف اعاملهم ! كيف أجعلهم يرتدون تلك الملابس حسبما يتراءى لى ؟ ... كيف اجبرهم على المثول بين يدى ؟ أولئك البؤساء المهرجون الخائنون ... وما الذى يخشونه ؟ هذا ... وهذا فقط ... ان امزق اقنعتهم الحمقاء وان أريهم حقيقتهم كما لو لم أكن انا الذى اجبرتهم على وضع هذا القناع حتى اشبع هوايتى فى تمثيل دور الجنون .

لادولف : (**ينظرون إلى بعضهم البعض**) ماذا ؟ ماذا قال ؟

هارولد : (**فى دهشة وذهول**) ولكن ، اذا كان الامر

أوردولف : كان كذلك فلماذا ...

هنرى الرابع: **(حالما يبدءون فى الكلام ، يتحـول إليهم ويصيح بلهجـة آمرة)** اخرسوا ... هذا يكفى ... لقد أخذت كفايتى ... ولقد سلمت كل شىء **(عندئذ وبسرعة ، كما لو كان التفكير فيما حدث لم يسبب له ارتياحا أو حتى قدرة على تصديق حقيقة ما حدث)** يا رب .. اى صفاقة تلك ... تأتى لترانى هكـذا .. ومعها شفقة بى ... حتى لا يزعجوا عقل الشيطان العجوز الذى انسلخ من هذا العالم ... من الزمان ... من الحياة نفسها ... هه .. اتعتقدون ان ذلك الاخ كان ليحتمل ان يدفع هكذا هنـا وهناك ، ما لم يكن قد منى نفسه بمتعة عظيمة ؟ ان هؤلاء الناس يطالبون بقية العالم دائما ان يتصرف بالضبط كما يريدون ، إن تعاش كل لحظة من كل يوم كما يشاءون ... ولكن بالطبع ليس هناك أى غرور فى ذلك لا .. لا ... بالطبـع لا ... ليست سوى طـريقتهم فى الشعور .. لكـل طريقتـه فى ... وأنتم أيضـا لكم طريقتكم ... أليس كذلك ؟ بالطبع لديكم طريقتكم ؟ ولكن أى طـريقة تلـك ؟ ... مـا انتم الا قطيـع من الغنم .. بؤسـاء .. مـزعزعـين .. ضعفاء .. وهم يستغلـون هذا ... يخضعـونكم لإرادتهم ... يجعلونكم تقبلون طريقتهم فى الحياة حتى تشعروا وتروا كما يشعرون وكما يرون أو على الاقل هذا هو الوهم الذى يتمسكون به فى سعادة . فبماذا ، قبل كل شىء ، افلحوا فى ان يؤثروا عليكم ؟ كلمات ... كلمات ... كلمات يفهمها كل منا ثم يخرجها مرة اخرى بطـريقته الخـاصة ... وهكـذا ... وهكذا يتكون ما يسمونه الرأى العام ... وانـه لمصير مظلم لمن يجـد نفسه وقد دمغ بإحدى تلك الكلمات التى يكررها كل الناس مثل مجنون أو ... أوه ... لا ادرى ... أحمق .. خبرونى .. ألا يكون فوق طاقة احتمال أى شخص ان يعلم ان شخصا ما يفعل كل ما يستطيع ليقنع باقى الناس انك لست سوى ما يراه ؟ عندما يبذل اقصى طاقاته كى يقنع الناس بتقييمه لك .. بحكمه عليك ... « انه مجنون » ! ... « فقـد عقله تمـاما » .. وانـا الآن اتكلم

بمنتهى الجد ... انا لم اعد اتحدث عن متعة جعل الناس يتصرفون كما اريد ... فقبلَ ان اقع ... قبل ان اقع من صهوة جوادى وقبل ان يصاب رأسى .. (**يتوقف بعد ان يلاحظ جزع الشبان الاربعة وقد زادهم كلامه دهشة وذهولا**) لماذا تنظرون الى بعضكم البعض هكذا ؟ (**يضحك مقلدا تعبيرات الدهشة على وجوههم بسخرية**) ها'ها . ها ماذا جرى ... هل تعتقدون انه تكشف جديد ؟ هل أنامجنون أم غير مجنون ؟ استمروا هه ؟ نعم انا مجنون ! (**تصبح طريقة كلامه فظيعة**) والآن .. اركعوا ... اركعوا على ركبكم !! اركعوا (**يجبر الاربعة على الركوع امامه**) آمركم بالركوع على ركبكم أمامى ... نعم هكذا ... والمسوا الارض ثلاث مرات بجباهكم .. استمروا ... اخفضوا رءوسكم ... هذه هى الطريقة التى يجب ان يتصرف بها كل واحد فى حضرة رجل مجنون ... (**عندما يراهم الاربعة راكعين امامه يشعر على الفور بمرحه الوحشى يتلاشى . يتحول موقفه الى الاحتقار**) قفوا ايها الغنم ... قفوا ... لقد اطعتمونى أليس كذلك ؟ كان يجب ان تلبسونى قميص المجانين .. تسحقون رجلا هكذا ... بثقل كلمة واحدة ولكن هذا لا يعنى شيئا فى الواقع ! ما هذا فى الواقع ؟ ذبابة ومع ذلك فقد أنتهت حياتكم فى لمحة هكذا بثقل الكلمات ! ثقل الموتى .. هأنا واقف امامكم .. هل يمكن ان تصدقوا حقا ان هنرى الرابع ما زال حيا ؟ ومع ذلك ... انظروا ... هأنتم احياء ... واستطيع ان أتكلم معكم وان آمركم ان تنفذوا مشيئتى ! وهكذا اريدكم .. اتظنون ان هذه نكتة ايضا ... ان يستمر الموتى على قيد الحياة الى .. أجل إنها نكتة هنا لا جدال فى ذلك ... ولكن افرضوا أننا رحلنا من هنا وخرجنا الى عالم الاحياء .. الفجر يبزغ امامنا طول الوقت .. الفجر .. وفجر الـ .. والنهار الذى يتلوه .. تقولون لأنفسكم ... ها هو يومنا نفعل فيه ما نريد ... وهل تفعلون ؟ هل تفعلون ؟ سحقا للعرف ! سحقا للتقاليد البالية .. استمروا ... تحدثوا ... فلن تفعلوا

اكثر من ترديد نفس الكلمات القديمة مرات ومرات مثلما فعلت اجيال لا حصر لها قبلكم ... اتعتقدون حقيقة انكم احياء ؟ انكم تفعلون اكثر من اجترار حياة الموتى (**يذهب إلى برتولد الذى يكون قد استسلم لغفوة من الرعب والذهول**) انك لا تفهم كلمة واحدة من هذا ... أليس كذلك ؟ ما اسمك ؟

برتولد : انا ؟ آه .. انا ... برتولد ...

هنرى الرابع: أبله .. ماذا تعنى برتولد ؟ قل الحقيقة .. ما أسمك الحقيقى ؟

برتولد : آه .. أنا .. أنا اسمى .. اسمى .. الحقيقى .. فينو ...

هنرى الرابع: (**يلتفت بسرعة كى يوقف اشارة تحذير خفيفة - خفيفة جدا فى الثلاثة الآخرين**) فينو ؟

برتولد : اجل يا سيدى ... فينو ما جليوتشا .

هنرى الرابع: (**يلتفت مرة اخرى إلى الآخرين**) كم من المرات سمعتكم تنادون بعضكم بأسمائكم الحقيقية عندما تخلون إلى انفسكم (**للاندولف**) اسمك لولو .. أليس كذلك ؟

لاندولف : أجل ياسيدى ... (**ثم ينفجر فرحا**) الحمد لله ... اذن .. ؟

هنرى الرابع: (**على الفور ، فى حدة**) ماذا ؟

لاندولف : (**يتراجع فى لهجته بسرعة**) لا شىء ... كنت أريد فقط أن أقول ...

هنرى الرابع: اننى لم أعد مجنونا ؟ بالطبع لست مجنونا ! ... ألا ترى ؟ اننا نستمتع قليلا على حساب من يظنوننى مجنونا (**لهارولد**) وأعرف اسمك انت أيضا ... فرانكو ... (**لاوردولف**) وانت ... انتظر لحظة .

اوردولف : مومو .

هنرى الرابع: اجل مومو ... رائع ... أليس كذلك ؟ أهم !

لاندولف : (**فرحا**) ولكن فى هذه الحالة ... أوه الحمد لله .

هنرى الرابع: (**فى حدة**) فى هذه الحالة ماذا ؟ فى هذه الحالة لا شىء فلنضحك طويلا معا .

لاندولف (**ينظرون لبعضهم فى شك وجزع ، موزعين بين الفرح**

والذهول)

اوردولف : هل شفى ؟ أيمكن ولكن كيف .. :

هنرى الرابع: ... صمتا صمتا ... (لبرتولد) انت لا تضحك ! ... لم لا تضحك ؟ ألا زلت متأثرا ؟ لا يجب أن تكون ... فانني لم اقصدكم بل قصدت الجميع .. الجميع بدون استثناء عليهم ان يؤمنوا ان بعض الناس مجانين ، حتى يكون لهم العذر فى حبسهم ... اتدرون لماذا ؟ لأنهم ان لم يفعلوا فلن تستطيع مقاومة اغراء الرغبة فى الاستماع لما يقولون .. ماذا اقول عن هؤلاء الناس الذين خرجوا لتوهم ؟ هل اقول لكم ان واحدة منهم عاهرة ؟ وان الآخر داعر قذر ؟ وان الثالث مهرج ؟ ولكن ليس هذا صحيحا .. فلن يصدقه احدا .. ولكنهم جميعا يقفون وينصتون الى فى رعب ... كلهم ... واذا كان ما اقوله خطأ فأرجو ان تخبرونى لماذا ؟ ... لا يجب أن تصدقوا ما يقوله المجانين ... ولكنهم يستمعون لهم وقد جحظت عيونهم من الرعب .. لماذا ؟ قولوا لى ؟ انت قل لى لماذا ... اترى اننى قد هدأت الآن .

برتولد : ربما .. لأن ... ربما لانهم يعتقدون ان ..

هنرى الرابع: كلا يا صديقى العزيز ... كلا ... انظر فى عينى ... تعمق فيهما ... لا تنزعج انا لا اقول ان هذا ... حقيقى .. فلا شيء حقيقى ... ولكن انظرفى عينى ...

برتولد : نعم ؟ وماذا ؟

هنرى الرابع: أرايت ؟ أرايت ؟ أنت خائف مثلهم ... عيناك ايضا يملؤهما الذعر ... لاننى ابدو لك مجنونا الآن ... انت ايضا ... هذا هو الدليل ... هذا هو الدليل على ما كنت اقول .. (**يضحك**) .

لاندولف : **(وقد نفد صبره ، يستجمع شجاعته ويتقدم إلى الامام ، كما لو كان يتحدث باسمهم جميعا)** ولكن ... اى دليل ؟

هنرى الرابع: إنكم جميعا قد جزعتم لاننى بدوت لكم مجنونا مرة اخرى .. يا ساتر .. بالطبع تعلمون ماذا أعنى . وأنتم تصدقون الآن ... وقد صدقتموه قبلا .. صدقتم اننى مجنون ! أليس كذلك ؟ اليس كذلك ؟ حتى لحظة مضت ! (**يصابون جميعا بالذعر .. ينظر**

إليهم للحظـة) أرأيتم ؟ إنكم تشعرون ان جـزعكم هـذا يمكن ببساطة ان يكون رعبا .. أليس كذلك ؟ الرعب الذى تشعرون به فى مواجهة شىء ينتزع الارض من تحت اقدامكم .. يخطف الهـواء الذى تتنفسون .. وهـذا يا سـادتى ، ما يجب ان تشعروا به .. لا حيلة لكم فى ذلك . أتعرفون مـاذا يكون الامـر عندمـا تجدون انفسكم وجها لوجه مع رجل مجنون . تجدون انفسكم وجها لوجه مع شخص يزلزل أساس كل شىء أقمتموه داخل انفسكم ؟ كل شىء بنيتمـوه حـولكم ؟ شخص يتحـدى المنطق ، منطـق كـل شىء شيدتموه ؟ اهم .. ؟ ماذا يستطيع الانسـان ان يفعل ازاء شىء كهـذا ؟ هكذا طبيعـة الاشياء... يـا لهم من محظوظـين اولئك المجانين ... انهم يشيدون بدون منطق ... أو على الاحرى بمنطقهم الخاص بهم ، منطق يطير هنـا وهناك ... خفيف كـالريشـة هنا لحظـة ... ثم يذهب ... اليـوم الامور هكـذا ... وغـدا ؟ ... من يدرى ؟ ... انكم تستندون بقوة إلى فكرة ما ، وهـم ... هـم يستندون لـلاشىء ... فى خفة الـريشة يطفـون بقوة من فكـرة لأخرى ... تقولون ... ولكن ذلـك مستحيل ... ولكن بـالنسبة لهم كـل شىء ممكن ... تردون قائلـين .. ولكن ليس هذا حقيقيـا ! ولماذا غـير حقيقى ؟ لأنكم لا ترونه حقيقيا ... وانت ... وانت .. (**يشير إلى الثلاثة**) ومائة ألف آخرين ... آه يا أصدقائى الاعزاء ... انظروا إلى الاشيـاء التى تبدو حقيقيـة لاولئـك المـائـة الف ... الـذين لا يفترض انهم مجانين ... اى منظر يبـدون عندمـا يصلون إلى اجماع فى الرأى حول هذا الشىء ، أو ذاك ... اى زهور فى المنطق يخرجون ... اننى اعرف اننى عندما كنت طفلا ، كنت اعتقد ان القمر فى البركة حقيقى ... كم من الاشياء بدا لى حقيقيا ... كنت أصدق كل ما يقوله الناس ، وكنت سعيدا للغاية ، لانه شىء فظيع ان لم تستند بقوة لما يبدو لك اليوم حقيقيا أو ما سيبدو لك حقيقيا فى الغـد ، حتى ولو كـان على العكس تمـاما ممـا بدا لـك حقيقيـا بالامس ... أنا لا اتمنى لكم على الاطلاق ، كما كان على ان افعل ، ان تفكروا فى ذلك الشىء المريع الذى يصيب العقل بالجنون ...

فأنتم على مقربة من احد الاشخاص ... تنظرون فى عينيه هكذا يوما ما ، نظرت أنا أيضا فى عينى شخص ما ... فترون انفسكم فى مرآة تلك العيون ... ولكن ليست هذه هى نفوسكم الحقيقية .. كلا ... فأنت مثلا ترى نفسك شحاذا تقف بأحد الابواب التى لن تمر منها ابدا ... اما الرجل الذى يدخل من هذا الباب ، فلن يكون أنت ... انت بحياتك الخاصة الخفية ، هذا العالم الذى تضمه جنباتك ... عالم الحس والنظر المألوف لك ... سيكون شخصا آخر لا تعرفه بالمرة من يمر من هذا الباب ... الرجل الذى يراه هو ... الرجل الذى فى عالمه الخاص المغلق عليه وحده ، يعرفه ويلمسه (وقفة طويلة ... الغرفة تظلم وتزيد من احساس الشبان الاربعة بالجزع والرعب ... اربعة اقنعة صغيرة مبعدة عن القناع العظيم ... يقف وحده بعيدا وقد استغرقه التامل فى عالم البؤس المرعب ... الذى ليس بؤسه وحده بل بؤس جميع البشر ... يخرج من حالة التامل والتفكير ، وكما لو كان يشعر انهم ليسوا معه ، ينظر حوله بحثا عن الشبان الاربعة) قد حل الظلام .

اوردولف : (يتقدم على الفور) هل تود ان اذهب وأحضر المصباح ؟

هنرى الرابع: (ساخرا) آه ... اجل المصباح ! اتظنون حقا اننى لا اعرف انه حالما أدير ظهرى وأذهب إلى فراشى فى ضوء مصباح الزيت ، فانكم تضيئون النور الكهربى من اجل راحتكم هنا ، وحتى هنا فى غرفة العرش ! وانا اتظاهر اننى لا الاحظ ...

اوردولف : اوه ... أتريد اذن ان ... ؟

هنرى الرابع: كلا فسيعمينى ... اريد مصباحى ؟

اوردولف : سأذهب لاحضاره ... لابد انه ... جاهز الان .. خلف الباب (يتجه ناحية المدخل الرئيسى ويخرج لبرهة ثم يعود بسرعة وفى يده مصباح من طراز القرن الحادى عشر ، احد المصابيح التى تحمل من حلقة باعلاها)

هنرى الرابع: (ياخذ المصباح ثم يشير إلى المنضدة الموجودة فوق المدخنة الخشبية) تعالوا هنا ... أعطونا قليلا من الضوء ... اجلسوا

هنا ... حول المائدة ... لا ليس هكذا ... خذوا راحتكم اكثر ... فى أوضاع اكثر ملاءمة من الناحية الجمالية ... ليس بهذا التصلب ... تراخوا قليلا (**لهارولد**) هكذا ... هكذا ... (**يعدل من جلسته ثم يقول لبرتولد**) وانت هكذا ... (**يعدل من جلسته**) هكذا ... (**يجلس**) وانا سأجلس هنا (**يلتفت براسه إلى احدى النوافذ**) يجب ان يكون الانسان قادرا على التحكم فى القمر حتى يعطينا شعاعا زخرفيا جميلا ... ان القمر مفيد جدا لنا ... مفيد جدا ... انا ... أشعر بحاجتى إلى القمر وكثيرا ما تعترينى الدهشة عندما أنظر إليه من نافذتى ... من ذا يصدق ، بالنظر إلى القمر ، انه يعرف ان ثمانمائة عام قد انقضت ؟ واننى ، اذ اجلس إلى جانب النافذة ، انظر إلى القمر ، مثل افقر الفقراء ، لا يمكن ان اكون حقا هنرى الرابع ؟ ولكن انظروا ... انظروا إلى ذلك المشهد الليلى الذى صنعناه ... الامبراطور يحوطه مستشاروه المخلصون ... ألا تجدون هذا مسليا ؟

لاندولف : (**فى صوت خفيض لهارولد كما لو كان يخشى أن يزول السحر**) اتدرك ذلك ؟ ... تصور ان ذلك لم يكن ... حقيقيا ...

هنرى الرابع: حقيقى ؟ ما الذى لم يكن حقيقيا ... !

لاندولف : (**فى ذعر وبلهجة اعتذار**) كلا ... اعنى ... كنت اقول لبرتولد (**يشير ناحيته**) هذا الصباح فقط ... اترى ... كان جديدا فى الوظيفة ... قلت انه لما يؤسف له ... اننا ... بكل هذه الثياب الجميلة ... وكل الثياب الاخرى فى دولاب الازياء ... وفى حجرة كهذه ... (**يشير إلى حجرة العرش**) ...

هنرى الرابع: هل قلت مما يؤسف له ... ؟

لاندولف : نعم ... قلت ... كنت اعنى انه مما يؤسف له اننا لم نكن نعرف ...

هنرى الرابع: انكم كنتم تلعبون هذه الادوار كمجرد نكتة ... ؟

لاندولف : لاننا ... كنا نظن ...

هارولد : (**يهب لنجدته**) نعم ... لاننا كنا نظن ان كل شىء كان جدا .

هنرى الرابع: أو ليس كذلك ؟ او تعتقدون حقا انه ليس جدا ؟

لاندولف : هه ... انك قلت ذلك ...

هنرى الرابع: ان ما أقوله هو انكم ثلة من الحمقى .. كان يجب ان تعرفوا كيف تخلقون عالمكم الخيالى لانفسكم لا مجرد ان تلعبوا ادواركم عندما تكونون معى أو عندما كان الناس يأتون لزيارتى من وقت لآخر ... كان لابد لهذه الادوار ان تصبح طبيعة ثانية لكم .. كان يجب ان تعيشوا الادوار كل لحظة من كل يوم .. حتى عندما لم يكن هناك أحد يراكم (**لبرتولد وهو يمسك بذراعه**) حتى يصبح هذا العالم الخيالى الذى خلقته لنفسك .. تأكل فيه .. وتنام فيه ... حتى انك تحك جلدك بما يتمشى مع الدور ، عندما تحس بالرغبة فى حك جلد كتفك (**يلتفت الى الآخرين**) وان تشعروا طوال الوقت بأنفسكم تحيون .. تحيون حقيقة فى القرن الحادى عشر .. هنا فى بلاط امبراطوركم هنرى الرابع .. وان تؤمنوا انه .. بعد مسافة ثمانية قرون من عصرنا هذا ... عصر جميل ولكنه جنائزى محنط ... ان تفكروا فى انسان القرن العشرين وهو يعذب نفسه ، ويعيش فى عذاب القلق حتى يعرف كيف تنتهى الامور ... ان الناس لا يألون جهدا فى الاندفاع هنا وهناك .. وقد امضهم القلق على القدر والحظ ، وعلى ما يظنون ان القدر يخبئه لهم ... أما انتم فمعى فى التاريخ .. ومع ان حظى تعس ... رغم بشاعة احداث حياتى ... ورغم المرارة وكل الصراع وكل الحزن وكل النضال ... الا ان .. كل هذا تاريخ ... لا يمكن لاى شىء ان يتغير .. اتفهمون ؟ لا شىء يتغير ... كل شىء مثبت الى الابد ، ويمكنكم ان تنظروا بإعجاب الى الأثر ينجم فى طاعة عن السبب بمنتهى المنطقية ... والى كل حادثة تقع بالضبط وبمنتهى الاقناع حتى ادق التفاصيل ... أجل .... متع التاريخ .... متع التاريخ ... وهى متع عظيمة ... كلها ملك ايديكم ...

لاندولف : جميل ... جميل .. آه

هنرى الرابع: جميل .. نعم ، ولكنه انقضى الآن ... انتهى بعد ان عرفتم ... لا استطيع ان استمر فيه (**يأخذ المصباح حتى يذهب لفراشه**)

وحتى لو لم ... لو لم تعرفوا لماذا عشنا هكـذا حتى الآن ... آه يا رب .. كم ضقت ذرعا بهذا كله الآن (**لنفسه فى صوت يرتجف من الغضب المكتـوم**) بحق الرب لأجعلنهـا تندم عـلى مجيئها هنا ... آه ... متنكرة فى زى حماتى وهو .. راهب ... اب مقدس ... ويحضرون معهم طبيبا كى يدرسنى ... من يدرى ؟ ربما كانوا يـأملون فى قـدرتهم على شفـائى ... هؤلاء الحمقى ... الاغبياء المغفلون ... هناك واحـد منهم على الأقـل اريد ان اصفعـه على وجهه ... اجل هذا الاخ ... يقولون انه مبارز بارع أليس كذلك ؟ سوف يقتلنى ... يجعل سيفه يخترقنى هكذا مثل ... ولكننا سوف نرى .. سنرى (**خبطة على الباب**) من هناك ؟

صوت جون : باركهم الله .

هارولد : (**يبدو الفرح فى صوته ـ ربما كان يشعر انه ما زالت هناك نكته يمثلونها**) آه ... انه جـون ... جون ... جـاء يلعب دور الراهب العجوز كالمعتاد .. كل مساء ... فى دقة الساعة ...

أوردولف : (**يفرك يديه فى سعادة**) أجـل ... فلندعـه يلعبه .. فلنـدعه يلعبه ...

هنرى الرابع: (**غاضبا فجاة**) ايها الاحمق ... لماذا ؟ الا ترى اى احمق انت .. تسخر من رجل عجوز مسكين يلعب دوره لأنه يحبنى !

لاندولف : (**لأوردولف**) يجب ان يتم كل شىء كما لو كان حقيقيا .. ألم تفهم ذلك ؟

هنرى الرابع: بـالضبط .. كما لـو كان حقيقيـا .. لانه فى هـذه الحالـة فقط لا تصبح الحقيقة نكتة (**يذهب ويفتح الباب ليدخل جون الذى يرتدى مسوح راهب مسكين ويحمل رقعة للكتابة تحت إبطه**) ادخل ... ادخل يا ابتاه (**بصوت جاد ماسوى يتخلله الغضب والحزن**) كل وثائق حياتى وحكمى التى تنصفنى قد اعدمت ... اعـدمها اعـدائى عامـدين ... ولم تنج من الـدمار سـوى وثيقة واحدة .. حياتى التى كتبها راهب مسكين مخلص لى ... وتريدون ان تضحكوا منه (**يلتفت فى محبة لجون ويدعوه للجلوس الى المائدة فى اقرب اركانها للمشاهدين**) اجلس يا ابتاه .. اجلس

هنا ... دعنى اضع المصباح بجانبك (**خلال الحديث السابق كان يحمل المصباح . يضعه على المائدة بجانب جون**) اكتب .. اكتب ...

جون : (**يفرد لفة رقعة الكتابة ويستعد للكتابة من املاء هنرى الرابع**) انا مستعد يا صاحب الجلالة

هنرى الرابع: (**يملى عليه**) ان قرار السلام الذى اعلن فى مينز قد افاد المساكين المظلومين بقدر ما أضر بمصالح الاشرار والمتجبرين (**تبدأ الستار فى الهبوط**) وقد حقق للمساكين الثروات ... والجوع والعدم للآخرين ...

ستـــــار

الفصل الثالث

(قاعة العرش فى ظرم تام، إلا اننا نستطيع تمييز الحـائط الخلفـى
بصعوبة . اللوحتان الزيتيتان فى القـاعة ازيلتـا .. فريـدا ودينوللى يقفـان فى وسط الاطار الفـارغ فى مكان اللـوحتين بنفس الوضـع الذى تمثله الصورتان ... فريدا متنكرة فى زى ماركيزة توسكانيا كما رأيناها فى الفصـل الثانى ، دينـوللى يرتدى ملابس هنرى الرابع .

(بعد أن ترتفـع الستار ، ولفتـرة قصيرة جـدا ، يبدو المسرح كما لو كان خاليا ، ثم يفتـح الباب الايسر ويـدخل هنرى الرابع حاملا مصباحا من الحلقة التى تعلوه ... ينظر هنرى الرابع وراءه ويحادث الشبان الاربعة الذين يفترض وجودهم مع جون فى الحجرة المجاورة ، كما تركناهم فى نهاية الفصل الثانى) .

هنرى الرابع: كلا .. امكثوا حيث انتم ... امكثوا حيث أنتم ... أستطيع أن أقـوم بذلـك بنفسى ... ليلة سعيـدة (يغلق الباب وراءه ثم يتحرك فى حزن وتعب عبر الحجرة نحو الباب الثـانى الى اليمين الذى يؤدى الى مسكنه) .

فريدا : (حالما تـرى انه قـد ابتعد قليـلا عن العرش ، تهمس من الفجوة التى تقف فيها ... صوتها صوت امراة تشعر بانها على وشك الإغماء من الخوف) هنرى ...

هنرى الرابع: (يتوقف عند سماع صوتها ، كما لو كان أحـد قد طعنه فى

ظهره طعنة غادرة ، يلتفت وجهه الذى ملأه الرعب نحو الحائط الخلفى ، وبطريقة عفوية يرفع ذراعيه كمن يتقى ضـربـة) من ينـاديني ؟ (لم يكن هـذا سؤالا بـالمعنى الصحيح ... بل صيحة دهشة ، صيحـة يتخللها الـرعب المرتعش ، وهذه الصيحة لا تنتظر اى أجابة من الصمت والظلام المخيفين فى قاعة العرش والتى ملأها فى عينيه فجأة اتهامه بالجنون) .

فريدا : (لم تخفف صيحة الرعب التى اطلقها رعبها من الدور الذى تلعبه ... تعيد النداء بصوت أعلى) هنرى ... (ورغم انها تود ان تستمر فى اداء الدور الذى كلفت به بدقة ، الا انها تخرج رأسها قليلا من الفجوة التى تقف فيها وتنظر ناحية الفجوة الأخرى التى يقف فيها دينوللى) .

(هنرى الرابع يصرخ فى رعب ويسقط مصباحه ... يغطى وجهه بكلتا يديه ويتحرك كما لو كان يريد الهرب ... فريدا تقفز فى الفجوة الى الحافة الخشبية الاماميـة وتقف هناك تصرخ كالمجنونة) .

فريدا : هنرى ... هنرى ... أنا خائفة .. أنا خائفة ...

(فى هذه الأثناء يكون دينوللى هو الآخر قد قفز من الاطار الذى كان يقف وسطه الى الحافة الخشبية ثم الى الارض . ويندفع نحو فريدا التى تكون على وشك الاغماء ... تستمر فى صراخها وقد تقلص وجهها من الرعب الذى يتضـح فى صوتها أيضا ... الدكتور ودونا ماتيلدا التى تتنكر فى زى ماركيزة توسكانيا هى الأخرى ، وتيتو بلكريدى ولاندولف وهارولد وأوردولف وبرتولد وجون يندفعون داخلـين من الباب الايسر ، يضىء احدهم النور فورا ... الضوء الغريب ينبعث من كشافات مخبأة فى السقف بحيث لا يغمر النور سوى الجزء العلوى من المنظر ... هنرى الرابع يحدق فى دهشة بالغة فى هذا الاقتحام المفاجىء الذى لم يكن يتوقعه

والـذى يعقب لحظة الـرعب التى مازالت ذكـراها تجعلـه يرتجف ... الآخرون يتجاهلونه ويندفعون بلهفة نحو فريدا لتهدئة روعها والتسرية عنها ... فريدا تـرتمى فى أحضان خطيبهـا وهى ترتعش وتنتحب .. همهمـات أصوات غـير واضحة) .

دينوللى : لا ... لا يافريدا هاأنذا ... سوف أرعاك يا حبيبتى ...

الدكتور : **(وقـد وصـل مـع الاخـرين)** كفى ... لا مـزيـد ... يجب ألا نستمر ... لا حاجة بنا الى ذلك ...

دونا ماتيلدا : لقد شفى يا فريدا ألا ترين ؟ لقد شفى الا ترين ؟

دينوللى : **(فى دهشة تامة)** شفى !

بلكريدى : لم تكن سوى نكتة ... اهدئى ... كل شىء على ما يرام

فريدا : **(فى هستيرية)** كلا ... أنا خائفة ... أنا خائفة ...

دونا ماتيلدا : مم تخافين ؟ انظرى اليه ... انه لم يكن مجنونا ابدا ... لم يكن مجنونا ابدا .

دينوللى : **(لم يتخلص من دهشته بعد)** لم يكن مجنـونا ابـدا ؟ عم تتكلمين ؟ شفى ؟

الدكتور : يبدو أن الامر كذلك بالتأكيد ... أنا شخصيا أستطيع القـول بأن ...

بلكريدى : بالطبع شفى ... هكذا قالوا لنا **(يشير الى الشبان الاربعة)** .

دونا ماتيلدا : أجل منذ وقت طويل ... لقد أفضى لهم بالسر .

دينوللى : **(وقـد استبد بـه الغضب المختلط بالـدهشة)** ولكن بحق الـ ... ماذا يعنى هذا ؟ اذا كان حتى وقت قصير جدا ... ؟

بلكريدى : اجل ... كان يمثـل ... كان يـريد أن يضحـك ملء فمـه على حسابك ! وعلى حسابنا أيضا ! ولكننى أقسم أننا ...

دينوللى : أمعقول هذا ؟ بل تريد أن تقول ان الامر قد بلغ به أن يخدع اخته حتى يوم وفاتها ؟ **(فى هذه الأثناء كان هنرى الـرابع لا يـزال واقفا فى احـد الجـوانب يجـول بعينيـه وسط الحـاضرين وقـد انهمر عليـه سيل جـارف من السخريـة**

والاتهامات .. يبدو من الواضح جدا انهم يعتبرون ما حدث وما تكشف لهم منذ قليل نكته قاسية ... يبدو من لمعان عينيه أنه يفكر فى الانتقام رغم ان الغضب الشديد الذى يعتمل بعمق فى داخله قد منعه حتى الآن من تحديد طبيعة هذا الانتقام لنفسه تحديدا واضحا ... وفى هذه اللحظة لا يتمالك نفسه ويبدو فى عينيه بوضوح انه قد قرر أن يعتبر القصة الخيالية التى فرضوها عليه غدرا ، يعتبر ها حقيقة ، فينفجر) .

هنرى الرابع: (يصيح فى دينوللى) استمر ! استمر !

دينوللى : (بانزعاج وقد ادهشته الصرخة) أستمر ؟ ماذا تعنى بكلامك هذا ؟

هنرى الرابع: إن اختك لم تكن هى الوحيدة التى ماتت .

دينوللى : (وقد زادت دهشته) اختى ؟ كنت اتحدث عن اختك ... التى اجبرتها حتى آخر يوم فى حياتها أن تظهر أمامك على أنها أمك اجنيس !

هنرى الرابع: اذن فهى ليست أمك ؟

دينوللى : نعم كانت امى ! امى !

هنرى الرابع: ولكن ... بالنسبة لى ... فى شيخوختى بعيدا عنكم ... هى ميتة ... امك ميتة ... وانت ... لقد سقطت لتوك ... انسانا جديدا ... من هنا (يشير الى الفجوة التى قفز منها دينوللى) وكيف تعرف اننى لم ابكها ... ابكها طويلا ... فى السر ... رغم أننى أرتدى هذه الملابس ؟

دونا ماتيلدا : (فى ذعر ، تنظر الى الآخرين) ولكن ما الذى يقول ؟

الدكتور : (وقد تاثر جدا ، بدرسه) اهدأ من فضلك ارجوك أن تهدأ .

هنرى الرابع: ماذا أقول ؟ أنا أسألكم اذا لم تكن اجنيس هى أم هنرى الرابع (يلتفت الى فريدا كما لو كانت حقا ماركيزة توسكانيا) وأنت يا ماركيزتى العزيزة يجب أن تعرفى ... على الاقل اعتقد انك ...

فريدا : (ما زالت خائفة ، تلتصق اكثر بدينوللى) كلا ... كلا ... انا لا أعرف ... أنا لا أعرف شيئا على الاطلاق ...

الدكتور : انه الجنون يعود ... اهدءوا من فضلكم سيداتى وسادتى ...
بلكريدى : (يغضب) سحقا للجنون يا دكتور ، آنه يستأنف المسرحية حيث توقف ، ان يمثل مرة أخرى !
هنرى الرابع: تتهمنى بالتمثيل ؟ ألم تكن أنت من فرغ هذه الفجوات ، وها هو يقف أمامى على أنه هنرى الرابع ...
بلكريدى : وليكن ... على أية حال ، دعنا من هذه النكتة الآن .
هنرى الرابع: ومن قال انها نكتة ؟
الدكتور : (بصوت مرتفع لبلكريدى) بالله عليك لا تثره
بلكريدى : (لا يعيره التفاتا) لقد قالوا انها نكتة (يشير مرة اخرى الى الشبان الاربعة)
هذا ما قالوه ... هذا ما قالوه .
هنرى الرابع: (يلتفت نحوهم) انتم ؟ هل قلتم إنها نكتة !
لاندولف : (خائفا ، فى حرج) كلا ... اذا أردت الحق ... قلنا انك قد شفيت ...
بلكريدى : اسمع ، اعتقد اننا قد اخذنا كفايتنا من هذا ... فلننته منه (لدونا ماتيلدا) ألا تعتقدين يا عزيزتى الماركيزة أن منظركما (يشير الى دينوللى) فى هذه الملابس ، قد أصبح فوق الاحتمال ؟ الامر كله صبيانى !
دونا ماتيلدا : اهدأ ... ماذا يهم ملبسنا اذا كان قد شفى حقيقة ؟
هنرى الرابع: شفيت ؟ اجل شفيت ! (لبلكريدى) ولكننى لن أترك المسألة تنتهى عند هذا الحد ... بهذه السرعة ... كما تعتقدون اننى سأفعل (مهاجما) اتعرف انه طوال العشرين سنة الماضية ، لم يجرؤ احد على الظهور امامى بهذه الملابس التى ترتديها انت وهذا السيد (يشير الى الدكتور) .
بلكريدى : بالطبع اعرف ... فى الواقع اننى ظهرت أمامك اليوم فى زى ...
هنرى الرابع: راهب ... أجل ...
بلكريدى : وظننت اننى بيتر داميانى ! وأنا لم اضحك لاننى كنت اعتقد انك ....
هنرى الرابع: ... اننى كنت مجنونا ... وأو يضحك أن تراها فى هذا الزى ،

وقد شفيت أنا ؟ ومع ذلك كان يجب أن تعرف أن منظرها فى عينى الآنّ ... (**يقاطع نفسه فجأة باحتقار**) ياه (**ثم يلتفت على الفور للدكتور**) أنت دكتور ، هه ؟

الدكتور : نعم ... أنا ...

هنرى الرابع: وأنت الذى جعلتهما تتنكران فى زى ماركيزة توسكانيا ، كلاهما ؟ أتعرف يا دكتور انك للحظة كنت على وشك ارجاع الظلام والليل البهيم الى مخى مرة أخرى ؟ يا إلَهى ... تجعل هاتين الصورتين تتكلمان ... تجعلهما تقفزان من اطاريهما الى الحياة (**ينظر بتدقيق الى فريدا ودينوللى ، ثم ينظر الى الماركيزة واخيرا ينظر الى الملابس التى يرتديها هو نفسه**) نمط جميل جدا ... زوجان ... ممتاز يا عزيزى الدكتور ... رائع جدا ... ومجنون ... (**يشير اشارة طفيفة بيده فى اتجاه بلكريدى**) أنه يعتقد أن ذلك كرنفال عفا عليه الزمان ، اليس كذلك ؟ (**يلتفت اليه**) والآن سأتخلص من هذه الملابس الغريبة أيضا حتى استطيع أن آتى معكم ، هل لى أن افعل ذلك ؟

بلكريدى : معى ؟ معنا ؟

هنرى الرابع: أين نذهب ؟ الى النادى . بالفراك والربطة البيضاء ؟ ألم نذهب عند الماركيزة ؟ كلانا سويا ؟

بلكريدى : اينما تحب ! انك بالطبع لا تريد أن تبقى هنا وحدك ، ولا أن تستمر فى تلك الخدعة التى لعبها القدر فى يوم كرنفال ... فمن غير المعقول اطلاقا ... من غير المعقول حقا انك قد وجدت القدرة على الاستمرار فى ذلك الـ ... بعد أن نفضت عن نفسك آثار تلك المصيبة التى أصابتك ...

هنرى الرابع: اجل انها كذلك ... أعترف كيف كانت ، فى الواقع اننى عندما سقطت من فوق الحصان واصيب رأسى ظللت مجنونا لمدة .... أوه لا أذكر كم استمر ذلك .

الدكتور : آه ... هذا مهم جدا ... مهم جدا ... هل استمر ذلك الجنون لمدة طويلة جدا ؟

هنرى الرابع: (**للدكتور بسرعة شديدة**) اجل يا دكتور ... مدة طويلة جدا ... اثنا عشر عاما تقريبا (**ثم يتحول على الفور لبلكريدى ويخاطبه**) وهكذا يا صديقى العزيز لم أر شيئا مما حدث بعد ذلك الكرنفال ... مما حدث لك وليس ما حدث لى ... لم أر شيئا كيف تغيرت الامور ... كم من الاصدقاء غدروا بى ... فمثلا لم أر كيف احتل رجل آخر مكانى فى قلب المرأة التى أحببتها ... ربما لم يحدث ذلك ... من يدرى ؟ ولكن فلنفترض أن ذلك حدث ، ولم أعرف من مات ، من اختفى من السوق ... كل هذا ، كما تعرف ، لم يكن نكتة بالنسبة لى ... كما يبدو أنك تتصور .

بلكريدى : كلا ... كلا ... لم يكن هذا ما قصدته على الاطلاق ... كنت أتحدث عما حدث فيما بعد .

هنرى الرابع: اكنت حقا ؟ فيما بعد ؟ يوما ما ... (**يتوقف عن الكلام ثم يتحول الى الدكتور**) حالة جديرة بالاهتمام ... ادرسنى يا دكتور ... ادرسنى بعناية (**كل جسده يرتعش اثناء كلامه**) فى يوم من الايام ... دون تدخل من أحد لا أحد غير الله يعرف كيف تم ذلك ... المرض الذى هنا ... (**يتحسس جبهته**) شفى نفسه ... وشيئا فشيئا فتحت عينىّ مرة أخرى ... وفى أول الأمر لم أعرف ، اذا كنت مستيقظا أم فى حلم ... أجل كنت مستيقظا ... أخذت أتحسس ما حولى من أشياء وبدأت أرى بوضوح مرة أخرى ... آه ... والآن كما يقول (**يشير الى بلكريدى**) لننزع هذا الثوب الغريب ... ولنطرد هذا الكابوس ... ونفتح النوافذ على مصاريعها ونتنفس مرة أخرى فى الحياة ... فلنخرج من هنا ... ولنذهب بعيدا ... بعيدا ... فلنهرب من هنا بسرعة ... (**يضبط نفسه فجاة**) ولكن أين ؟ وماذا نفعل ؟ حتى يشار الى فى بلاهة ويقال « ها هو هنرى الرابع » ؟ رغم اننى لن اظل هكذا كما ترون ، بل أتأبط أذرعكم ويحوطنى أعزائى أصدقاء حياتى التى كنت أحياها ؟

بلكريدى : **اوه لا ... كيف يمكن أن تظن ... ؟ ولماذا يفعلون ذلك ؟**

دونا ماتيلدا : من ذا يجرؤ ؟ الان ... لا يجب أن تفكر فى هذا الامر ... لقد كانت مجرد حادثة ...

هنرى الرابع: ولكنهم جميعا قالوا اننى مجنون قبل أن يحدث ذلك (لبلكريدى) وأنت تعرف ذلك ... لقد كنت أكثر الجميع وحشية فى مهاجمة من كانوا يحاولون دفع الاذى عنى .

بلكريدى : ... لم تكن المسألة سوى نكتة .

هنرى الرابع: انظر الى شعرى (**يريه الشعر الذى يغطى مؤخرة عنقه**) .

بلكريدى : ولكن شعرى أنا الآخر قد شاب .

هنرى الرابع: ولكن هناك فرقا ما ... ان شعرى قد ابيض هنا ... فاهم ... بينما كنت هنرى الرابع ... ولم اعرف ذلك مطلقا ... أحسست بذلك فجأة يوما من الايام بينما كنت أفتح عينى وكان فظيعا لأننى أدركت ساعتها أن شعرى لم يكن هو الشىء الوحيد الذى شاب ، بل أن الشيخوخة قد أدركتنى فى داخلى وان كل شىء قد انتهى ... تداعى ... تحول الى خراب ... واننى سوف أصل جائعا كالذئب الى مأدبة أتى الباقون عليها منذ ذلك الوقت ...

بلكريدى : نعم اعرف ... ولكن الآخرين ...

هنرى الرابع: (**على الفور**) أعرف ذلك ، لم يكونوا لينتظروا حتى أشفى ... لا ... ولا حتى من جاءوا من خلفى وطعنوا جوادى طعنة غادرة حتى سالت منه الدماء .

دينوللى : (**وقد اخذته الدهشة واصابه الرعب لما يوحى اليه ذلك**) ماذا ؟ ماذا قلت ؟

هنرى الرابع: نعم ... غدر ... حتى يجعلوه يتقهقر ويلقى بى الى الأرض .

دونا ماتيلدا : (**بسرعة وفى رعب**) هذه أول مرة اعلم فيها أن ذلك ما حدث.

هنرى الرابع: كان ذلك أيضا نكتة ... محتمل .

دونا ماتيلدا : ولكن من فعل ذلك ؟ من كان يركب خلفنا فى تلك اللحظة؟

هنرى الرابع: لا يهم من كان ... لقد استمروا جميعا فى مأدبتهم سعداء لأننى عندما أصل سوف أصيب الفتات ... ما تبقى يا عزيزتى الماركيزة ... لعق يختلط باللعاب لما تبقى من شفقتهم ... بقية أو بقايا قذرة من ندم ملتصقة بالطبق القذر ... شكرا يا أصدقائى

الاعزاء (**يلتفت فجأة للدكتور**) وأنت يا دكتور ، الا تعتقد أن هذه الحالة فريدة من نوعها تماما فى تاريخ الجنون ؟ لقد فضلت أن اظل مجنونـا لأننى وجدت كـل شىء فى متناول يـدى لهذه التجربة الجديدة اللذيذة ... فضلت أن أعيش فى جنونى هذا حتى انتقم لنفسى من وحشية الحجر الذى شج رأسى ... كنت أعيش هذه التجربة وأنا فى أتم حالات الوعى بما كنت أفعله ... وكانت العزلة ... هذه العزلة ... رغم انها بدت قفـراء خاويـة عندما فتحت عينى ثانية للمرة الاولى ... قررت فورا أن أصنع فيها شيئا أجمل ... أتحايل عليها بكل الفخامـة وكل الالـوان البراقة لذلك الكرنفال البعيد ، عندما كنت ... (**ينظر الى دونا ماتيلدا ويشير لها نحو فريدا**) هأنت يا ماركيزة هناك عندما انتصرت ... وكنت امتع كل من ظهر أمامى لكى يلعب فى ذلك المهرجان المشهور ... مهرجـان الماضى ، الـذى كان ... لكم ، وليس لى ... نكتـة يوم ... الان ... بقـدرة الله ، يلعبون كمـا آمرهم ... كنت أحيل تلك النكتة الى حقيقة ... حقيقة تبقى أبد الدهر ... حقيقة جنون حقيقى ... هنا بكل ثيابنا هذه ... أقنعة الادوار التى كان علينا أن نلعبها ... بغرفـة العرش هـذه ... ومستشارى الاربعة هؤلاء ... مستشارون خصوصيـون ... ، خصوصيون وطبعا خونة (**يلتفت اليهم بسرعـة**) احب أن أعلم ماذا كسبتم بإفشاء سر شفائى ... اذا كنت قد شفيت فلم يعد هناك داع لـوجودكم ... وبهـذا تفقدون وظـائفكم ... إنه لجنون حقيقى أن يفضى الانسان بسره لأحد آه ... وأنا بدورى اتهمكم ... أتعرفون بمـاذا ؟ لقد ظنـوا حقيقة اننـا يمكن أن نستمر فى النكتة ... هم وانـا ... وأن نصيب متعة كبيـرة على حسـابكم (**ينفجر ضـاحكا ، يضحـك الجميع عـدا دونـا مـاتيلدا ... ولكن من الـواضح انهم جميعـا قـد اسقط فى ايديهم**) .

بلكريدى : (**لدينوللى**) هل سمعت ؟ لا بأس بهذه .

دينوللى : (**للشبان الاربعة**) هل ظننتم ذلك ؟

هنرى الرابع: يجب أن نسامحهم ... إن هذا الرداء (**يجذب رداءه**) يجسد لى الكاريكاتير ... الواضح الارادى ... لتلك التمثيلية الاخرى ... التمثيلية التى لا تتوقف والتى نلعب فيها أدوارنا بارادتنا ... ممثلون جوالون مساكين (**يشير الى بلكريدى**) عندما ... دون أن ندرى ... نلبس اقنعة ذلك الشىء الذى نتصور انه نحن ... وأن نرتدى ... ملابس ذلك الشىء ... يجب أن نسامحهم لأنهم لم يستطيعوا بعد إدراك أن هذا الشىء هو انفسهم ذاتها (**يلتفت مرة اخرى الى بلكريدى**) أتعرف أنه من السهل جدا أن نعتاد على ذلك ... ما عليك الا أن تجىء وتروح لاعبًا دور شخصية مأسوية ... بالضبط كما لو لم يكن فى الامر شىء ... (**يروح ويغدو بطريقة ماسوية**) ... فى غرفة كهذه ... اسمع يا دكتور ، أذكر اننى فى احد أيام نوفمبر الشمسة قابلت قسا ... كان ايرلنديا — عرفت ذلك من ملامحه — ... رجل وسيم ... نائما على مقعد فى حديقة عامة ... وقد اسند ذراعه الى ظهر المقعد، كان غائبا فى متعة الهواء الدافىء المشمس الذهبى الذى لابد أنه كان كنسمة من الصيف له ، ومن المؤكد أنه كان ، فى تلك اللحظة ، ينسى تماما أنه قس ، وينسى تماما أى مكان كان فيه ، كان يحلم ... ومن ذا يعلم ماذا كان حلمه ، ثم جاء غلام صغير وفى يده زهرة اقتلعها بجذورها من مكان ما ، وحين مر من أمام القس اخذ يداعبه بها فى عنقه ... ثم رأيته يفتح عينيه الباسمتين وقد أخذ فمه كله يضحك بكل جمال وغبطة الحلم ... لم يكن العالم موجودا بالنسبة له فى تلك اللحظة ... وفجأة تصلب فى ردائه الكنسى ، ورجعت الى عينيه نفس الجدية التى رايتموها فى عينى ، لأن القساوسة الايرلنديين يدافعون عن جدية عقيدتهم الكاثوليكية بنفس الحماسة التى أدافع بها عن حقوق الملكية الوراثية المقدسة ... سيداتى سادتى ، لقد شفيت ، لأننى اعرف جيدا اننى العب دور المجنون هنا ، والعب ذلك الدور بهدوء شديد .. انكم انتم من تستحقون الشفقة لانكم تعيشون جنونكم فى حالة من القلق الدائم ... دون

أن ترونه ... ودون أن تعرفوه ...

بلكريدى : أهذا اذن كل ما فى الامر . أليس كذلك ؟ نحن المجانين !

هنرى الرابع: (**يكبح جماح عواطفه بجهد**) ولكن اذا لم تكونا مجنونين ، أكنتما تجيئان الى هنا لتريانى ... سويا ؟ كلاكما سويا ! (**يشير ناحية الماركيزة**) .

بلكريدى : أقول لك الحق ، لقد جئت الى هنا معتقدا أنك أنت المجنون .

هنرى الرابع: (**على الفور ، بصوت مرتفع ، مشيرا الى الماركيزة**) وهى ؟

بلكريدى : آه ... هى ... اما هى ... لا أدرى ... الا اننى مع ذلك ارى أن ما كنت تقوله قد ... ماذا اقول ؟ ... قد سحرها ... لقد اسرتها كلماتك ... اذهلها ذلك الجنون الواعى (**يلتفت نحوها**) بملابسك هذه يا عزيزتى الماركيزة ، تستطيعين البقاء هنا والعيش فى ذلك الجنون معه ...

دونا ماتيلدا : انت وقح !

هنرى الرابع: (**على الفور ، يهدئها**) لا تلق اليه بالا ... لا تلق بالا دعيه يستمر فى تعذيبى .. رغم أن الدكتور قال له ألا يفعل ذلك (**يلتفت نحو بلكريدى**) ولكن اتظن حقيقة أننى سوف اضايق نفسى بما جرى بيننا ... ؟ بذلك الدور الذى لعبته فى فجيعتى ... الفجيعة التى افقدتنى ... اياها ؟ (**يشير الى الماركيزة ثم يلتفت الى بلكريدى مشيرا إليه**) أو بالدور الذى يلعبه الآن فى حياتك ... هذه هى حياتى ! ، وهى حياة مختلفة تماما عن حياتك ... حياتك ... تلك الحياة التى أدركتك فيها الشيخوخة ... اننى لم اعش تلك الحياة ... (**لدونا ماتيلدا**) أكان هذا ما أردت أن تخبرينى عنه ؟ أكان هذا ما اردت أن تريني اياه بتضحيتك هذه ؟ بارتدائك تلك الملابس ... حتى يستطيع الدكتور ان يلعب مشهده الصغير ... أوه ... كان دورا رائعا يا عزيزى الدكتور ... برافو وكما كنت اقول ... « كما كنا حينئذ ، وكما نحن الآن » ... ولكننى لست مجنونا بالمعنى الذى تفهمه يا دكتور ! أنا اعرف تماما أن (**يشير الى دينوللى**) هذا الرجل لا يمكن أن يكون أنا ... لاننى أنا هنرى الرابع ... وقد

كنت هنرى الرابع لمدة عشرين عاما ... هنا ... متجمد فى ذلك القناع اما هى فقد عاشت تلك السنوات العشرين ... (**يشير الى الماركيزة**) وقد استمتعت بها واصبحت ... انظر اليها .. امرأة لا أستطيع ان اتعرف عليها ... لانني انما اعرفها هكذا (**يشير الى فريدا ثم يتجه نحوها**) هى دائما تلك المرأة بالنسبة لى ... ولستم سوى حفنة من الأطفال ... أطفال استطيع أن اضيفهم بمنتهى السهولة (**لفريدا**) وأنت ايتها الفتاة الصغيرة خائفة أيضا ، أليس كذلك ؟ ألست خائفة من النكتة التى اقنعوك بتمثيلها على ؟ ولكنهم لم يدركوا انها لا يمكن ان تكون بالنسبة لى نفس النكتة التى ارادوها ... لا ... اصبحت تلك المعجزة الفظيعة ... حلم تحول بك الى حياة ... اكثر امتلاء بالحياة مما مضى ... كنت هناك ... صورة ... فحولوك الى كائن حى ... انت ملكى أنت ملكى ... ملكى أنا ... ملكى ومن حقى (**يمسكها بين يديه وهو يضحك كالمجنون بينما يصرخ الباقون فى رعب ... ولكن عندما يندفع الجميع لتخليص فريدا من بين يديه ، يتملكه الغضب ، ويصبح فظيعا ... يصرخ فى الشبان الاربعة**)

هنرى الرابع: .. امسكوهم ... امسكوهم ... انني آمركم أن تمسكوا بهم . (**يصاب الشبان الاربعة بذهول ، كما لو كانوا مسيرين رغم ارادتهم ، حتى انهم يحاولون ، دون وعى ، ان يمنعوا دينوللى والدكتور وبلكريدى من الوصول الى هنرى الرابع**) .

بلكريدى : (**يخلص نفسه بسهولة من بين ايديهم ، ويندفع نحو هنرى الرابع**) اتركها ... اتركها ... انك لست مجنونا .

هنرى الرابع: (**فى ومضة يستدير نحو لاندولف الذى يقف على مقربة منه وسحب سيفه**) اذن فلست مجنونا هه ؟ خذ هذه أنت (**يدفع بسيف لاندولف فى بطن بلكريدى ... صرخة رعب عالية ،**

ويسرع الجميع لنجدة بلكريدى ، ضجة شديدة نسمع فى خلالها الحوار التالى) .

دينوللى : هل جرحك بالغ ؟

برتولد : اجل لقد اصابه اصابة خطيرة .. الامر خطير جدا .

الدكتور : الم أقل لكم .

فريدا : أوه يا إلّهى .

دينوللى : فريدا تعالى هنا .

دونا ماتيلدا : انه مجنون ... مجنون .

دينوللى : امسكوه .

بلكريدى : **(حين يحملونه من الباب الايسر يحتج بشدة)** لا ... لا ... لست مجنونا ... ليس مجنونا ... ليس مجنونا .

(يخرجون من الباب الايسر ويمكن سماع اصواتهم المضطربة من خارج المسرح ، فجاة تسمع صرخة حادة من دونا ماتيلدا تغطى على الضجة العامة ... ثم سكون) .

هنرى الرابع: (وقد ظل على المسرح ، يحوطه لاندولف ، وأوردولف ، وهارولد ... عيناه تحملقان وقد اصابه الذعر من الحياة التى دبت فى القصة الخيالية التى خلقها والتى دفعته فى لحظة خاطفة الى ارتكاب جريمة) . والآن ... اجل ... من المحتوم ... (يناديهم حوله ، كمن يحمى نفسه) هنا ... لابد أن نبقى هنا ... سويا ... سويا الى الابد !

ســــتار

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٧٨٥٧

ISBN 977 - 01 — 3138 - 5

عندما يحيا انسان ما ، فهو يحيا ولا يرى نفسه .. ضع أمامه مرآة واجعله يرى نفسه فى خلال عملية الحياة تجده ، إما ان يدهش من مظهره المرسوم قبالته ، أو يشيح بعينه بعيدا حتى لا يرى نفسه ، أو يبصق على صورته بدافع من الاشمئزاز ، أو يحكم قبضته ليحطمها ... وخلاصة الامر ، ينشأ نوع من الازمة ، وتلك الازمة هى مسرحى

لويجى بيرانديللو

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٢٠ قرشا